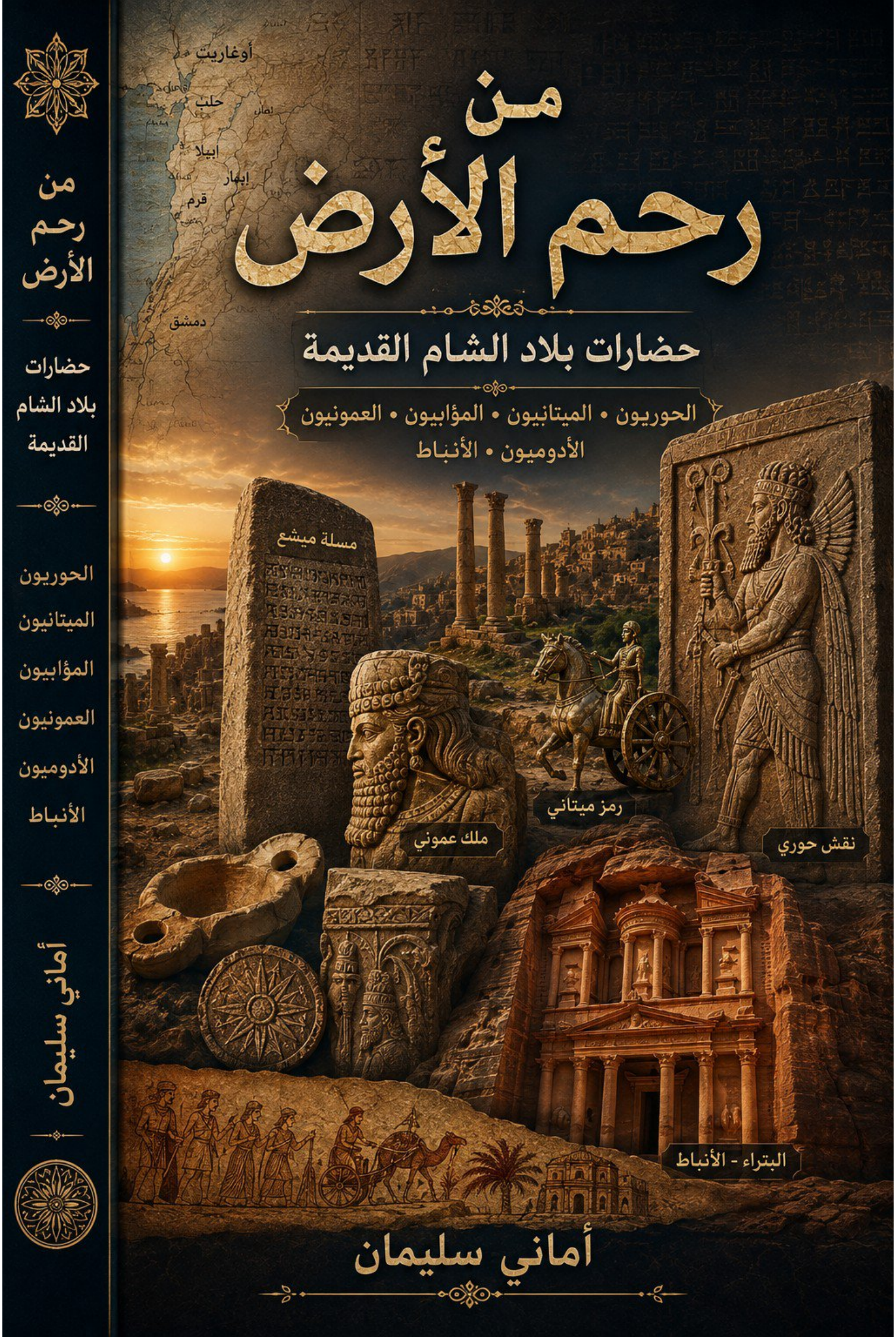
من رحم الأرض
حضارات بلاد الشام القديمة
الحوريون • الميتانيون • المؤابيون • العمونيون
الأدوميون • الأنباط
مسلة ميشع
رمز ميتاني
ملك عموني
نقش حوري
البتراء - الأنباط
أماني سليمان
من رحم الأرض
حضارات بلاد الشام القديمة
الحوريون
الميتانيون
المؤابيون
العمونيون
الأدوميون
الأنباط
أماني سليمان

# من رحم الأرض (4)

## ممالك و شعوب بلاد الشام القديمة

## الحوريون، العمونيون، المؤابيون، الأدوميون، الأنباط

إعداد و صياغة

أماني سليمان

# الحوريون

## حين تتكلم الأسطورة بلغة غامضة

# العمونيون

## مملكة خبّأت أسرارها بين الحجر و الزمن

# المؤابيون

## حيث ترك الحجر صوت ملكٍ يتحدى النسيان

# الأدوميون

## حضارة صاغتها الجبال و النار

# الأنباط

## حين يصبح الصخر مدينة و يصبح الطريق مملكة

# المقدمة

في هذا الجزء من «من رحم الأرض» نغادر عالم المدن الكنعانية والفينيقية لنقترب أكثر من الشعوب التي عاشت في المناطق الداخلية والشرقية والجنوبية من بلاد الشام، ونحاول أن نرى تاريخها من خلال ما تركته خلفها من آثار ونقوش ومدن ومرويات قديمة.

لم تكن بلاد الشام في العصور القديمة أرضًا تعبرها الجيوش فحسب، ولا ممرًا بين إمبراطوريات كبرى تتنافس على النفوذ والثروة كانت عالمًا قائمًا بذاته على جبالها وسهولها، وبين أوديتها وصحاريها، نشأت ممالك وشعوب تركت بصماتها في تاريخ المنطقة، ثم تعاقبت عليها القوى الكبرى حتى غابت دولها عن الخريطة، وبقيت آثارها شاهدة على وجودها.

في هذا الجزء نقترب من شعوب ربما لا تحظى بالشهرة نفسها التي حظيت بها حضارات كبرى مثل مصر وبابل وآشور، وغيرهم لكنها كانت جزءًا أساسيًا من المشهد السياسي والثقافي لبلاد الشام القديمة.

سنبدأ من الشمال، مع الحوريين؛ ذلك الشعب الذي امتد وجوده بين شمال بلاد الشام وبلاد الرافدين، وترك أثرًا واضحًا في تاريخ المنطقة ولغاتها ومعتقداتها. ومن عالم الحوريين سنصل إلى مملكة ميتاني، إحدى القوى المهمة في الألف الثاني قبل الميلاد، حين أصبحت سورية وشمال بلاد الرافدين ساحة تنافس بين ممالك كبرى مثل مصر والحيثيين وآشور.

وسنرى كيف تمكنت ميتاني من بناء قوة سياسية وعسكرية جعلتها طرفًا مهمًا في الصراع على سورية، وكيف دخل ملوكها في علاقات دبلوماسية وزيجات ملكية مع الفراعنة، قبل أن تتراجع قوتها تحت ضغط الحيثيين وآشور.

ثم نتجه جنوبًا إلى العمونيين، حيث قامت مملكة عمون في الهضاب الواقعة شرق نهر الأردن، واتخذت من ربّة عمون مركزًا مهمًا لها.

سنكتشف مدينة قديمة لم تنتهِ قصتها بسقوط المملكة، بل استمرت عبر العصور حتى أصبحت من جذور المدينة التي نعرفها اليوم باسم عمّان.

وبعدها نصل إلى المؤابيين، الذين عاشوا شرق البحر الميت، وبنوا مملكة ارتبط اسمها بملك ترك وراءه واحدًا من أهم النقوش الملكية في بلاد الشام القديمة: مسلة ميشع. حجر أسود حمل كلمات ملك مؤابي أراد أن يسجل انتصاراته وأعماله، فحفظ لنا صوته بعد أكثر من ألفي عام.

ثم نتجه إلى الجنوب، إلى أرض الجبال والصحراء، حيث قامت أدوم.

هناك لم تكن الأرض سهلة، لكن الأدوميين عرفوا كيف يستفيدون من مواردها وموقعها. استخرجوا النحاس، وسيطروا على طرق تجارية مهمة، وأقاموا مراكز سكانية وحصونًا في منطقة جعلت منها حلقة وصل بين بلاد الشام والجنوب.

ثم ننتقل إلى الأنباط أبناءُ الصخر والطريق، حوّلوا البتراء إلى مدينةٍ تنبض بالتجارة والماء والفن، وبنوا مملكةً بقي أثرها محفورًا في جبال الجنوب.

لكن تاريخ هذه الشعوب لم يكن تاريخًا منفصلًا فبين مملكة وأخرى كانت القوافل تعبر، والسلع تنتقل، واللغات تتقارب، والآلهة تتشابه أحيانًا وتختلف أحيانًا أخرى. كانت الحروب ترسم الحدود، لكن التجارة كانت تعبرها. وكان سقوط مملكة يعني صعود أخرى، بينما يستمر الناس في زراعة الأرض وبناء البيوت وصناعة الأدوات والبحث عن الماء. ولذلك فإننا لن نبحث في هذا الكتاب عن الملوك وحدهم. سنبحث عن الإنسان الذي كان خلف المملكة. عن الفلاح الذي زرع الحقول، والحرفي الذي

**صهر المعادن، والكاتب الذي نقش الكلمات، والكاهن الذي أقام الطقوس، والتاجر الذي عبر الطرق، والجندي الذي وقف على أسوار المدينة.**
**وسنحاول أن نقرأ التاريخ من أكثر من جهة؛ من النقوش التي تركها الملوك، ومن الآثار التي أخفاها التراب، ومن المدن التي بقيت أطلالها، ومن الدراسات التي أعادت اكتشاف هذه الشعوب بعد قرون طويلة من الصمت فالتاريخ القديم لا يأتي إلينا كاملًا.**

**أحيانًا نجد مدينة بلا نصوص.**

**وأحيانًا نجد نقشًا بلا سياق واضح.**

**وأحيانًا تتحدث إلينا رواية طرف واحد، بينما يكون الطرف الآخر قد اختفى صوته. ولهذا فإن كل حجر وكل نقش وكل قطعة أثرية تصبح جزءًا من محاولة إعادة بناء الماضي. قد لا نستطيع أن نعرف كل شيء.**

**لكن ما وصل إلينا يكفي لنكتشف عالمًا كان أكثر تعقيدًا مما توحي به أسماؤه المختصرة في كتب التاريخ.**

**الحوريون، العمونيون، المؤابيون، الأدوميون، الأنباط**

**لم يكونوا مجرد أسماء مرت على هامش التاريخ. كانوا شعوبًا لها مدنها، ولغاتها، وآلهتها، وأسواقها، وجيوشها، وممالكها، وأحلامها ومخاوفها. وعندما اختفت ممالكهم، لم تختفِ آثارهم معها بقيت الحجارة وبقيت الكلمات وبقيت المدن تحت التراب وبقيت الأرض تحفظ أسماء الذين عاشوا عليها.**

**ومن رحم هذه الأرض تبدأ حكايات جديدة**

# الفصل الأول

## الحوريون شعب بين الجبال والسهول

**قبل أن تظهر مملكة ميتاني كقوة سياسية في شمال بلاد الرافدين وبلاد الشام، كانت هناك جماعات وشعوب تركت أثرًا عميقًا في هذه المنطقة، وكان من أبرزها الحوريون.**

**لم يكونوا شعبًا ظهر فجأة ثم اختفى، بل امتد وجودهم عبر قرون طويلة، وانتشروا في مساحة واسعة شملت مناطق من شمال بلاد الرافدين وشمال بلاد الشام والأناضول.**

**وتكمن أهمية الحوريين في أن تاريخهم لا يصل إلينا من خلال دولة واحدة متماسكة ذات حدود واضحة، وإنما من خلال مجموعة من الآثار والنصوص التي تظهر أسماءهم وأشخاصهم وآلهتهم ولغتهم في مناطق مختلفة. ولهذا فإن البحث في تاريخهم يشبه جمع قطع أثرية متناثرة، ثم محاولة وضع كل قطعة في مكانها.**

### من أين جاء الحوريون؟

**لا نملك حتى اليوم إجابة قاطعة عن الموطن الأول للحوريين.**

**ويظهر وجودهم بوضوح في شمال بلاد الرافدين وشمال بلاد الشام خلال الألف الثاني قبل الميلاد، لكن آثارهم أقدم من ذلك، وقد ظهرت أسماء وأدلة مرتبطة بهم في مناطق واسعة منذ أواخر الألف الثالث قبل الميلاد. وكان انتشارهم تدريجيًا، ولذلك لا يمكن اختزال تاريخهم في هجرة واحدة حدثت**

في سنة محددة. ومع مرور الزمن أصبح وجودهم قويًا في المناطق الممتدة بين شمال بلاد الرافدين والأناضول وشمال بلاد الشام.

وكانت هذه المنطقة من أكثر مناطق الشرق القديم تنوعًا. ففيها عاش الحوريون إلى جانب شعوب ناطقة باللغات السامية، والحيثيين، والآشوريين، وشعوب أخرى. وهذا الاحتكاك المستمر ترك أثرًا واضحًا في الثقافة واللغة والدين.

## لغة مختلفة في عالم متعدد اللغات

من أهم ما يميز الحوريين أن لغتهم لم تكن لغة سامية مثل الأكادية أو الآرامية أو اللغات الكنعانية.

وتنتمي اللغة الحورية إلى مجموعة لغوية مختلفة، ويرى الباحثون أنها ترتبط ارتباطًا وثيقًا باللغة الأورارتية التي ظهرت لاحقًا في منطقة أرمينيا وشرق الأناضول. حول بحيرة وان في تركيا و كان اسمها مملكة أورارتو

لكن معرفتنا باللغة الحورية ما تزال محدودة مقارنة بالأكادية، لأن عدد النصوص الحورية التي وصلت إلينا أقل، كما أن فهم بعض جوانبها لا يزال موضع دراسة.

وقد كتب الحوريون نصوصهم باستخدام الخط المسماري، وهو أمر يكشف لنا جانبًا مهمًا من طبيعة العالم القديم. فالخط لم يكن ملكًا لشعب واحد. فالأكاديون استخدموه، والحيثيون استخدموه، والحوريون استخدموه أيضًا، لكن كل شعب كان يستطيع أن يكتب بلغته الخاصة باستخدام النظام الكتابي نفسه مع تعديلات مختلفة.

وهكذا أصبح الخط المسماري وسيلة للتواصل بين ثقافات متعددة.

# أوركيش مدينة من قلب العالم الحوري

ومن أهم المواقع المرتبطة بالحوريين مدينة أوركيش، التي تقع في منطقة الجزيرة السورية قرب سفوح جبال طوروس. في تل موزان قرب مدية عامودا في محافظة الحسكة في سوريا كانت أوركيش من أقدم المراكز السياسية الحورية المعروفة، وازدهرت في أواخر الألف الثالث وبدايات الألف الثاني قبل الميلاد. وقد كشفت الحفريات الأثرية عن بقايا مدينة ومجمعات معمارية ومنشآت دينية وإدارية، إضافة إلى نصوص وأختام ساعدت الباحثين على التعرف إلى طبيعة الحكم والمجتمع فيها.

ومن بين الشخصيات المرتبطة بأوركيش الملك توبكيش، الذي يظهر اسمه في النقوش والأختام المكتشفة في الموقع. وتكشف هذه الآثار أن الحوريين لم يكونوا مجرد جماعات متنقلة تعيش بعيدًا عن المدن.

لقد امتلكوا مراكز حضرية ومؤسسات سياسية ودينية، وشاركوا في شبكات التجارة والعلاقات التي ربطت مناطق واسعة من الشرق القديم.

# المدينة التي أخفتها الأرض

مرت قرون طويلة على أوركيش، وتغيرت القوى التي حكمت المنطقة، ثم اختفت المدينة تدريجيًا تحت طبقات الأرض. وظل موقعها مدفونًا حتى بدأت الحفريات الحديثة تكشف أجزاءً من تاريخها. وهنا تظهر واحدة من أجمل مفارقات التاريخ المدينة التي كانت يومًا مركزًا للحكم والعبادة والتجارة، لم يبقَ منها في الذاكرة الشعبية شيء تقريبًا. لكن الأرض احتفظت ببقاياها. احتفظت بالجدران وبالأختام وبالنقوش وبآثار المعابد.

وحين بدأ علماء الآثار التنقيب، بدأت أوركيش تستعيد اسمها من جديد.

# آلهة الحوريين وأساطيرهم

لم تكن الديانة الحورية مجرد مجموعة من الآلهة المرتبطة بالطبيعة، بل كانت عالمًا دينيًا غنيًا تصارعت فيه الآلهة على السلطة، وتزوجت، وأنجبت، وخاضت الحروب، وواجهت الوحوش والقوى الخارقة. وتكشف النصوص التي وصلت إلينا، ولا سيما النصوص الحورية - الحيثية، عن أساطير واسعة كان بعضها معروفًا في ميتاني والمناطق الحورية، ثم انتقل إلى البيئة الحيثية وأعيدت صياغته وتدوينه باللغة الحيثية. ولذلك فإن كثيرًا مما نعرفه اليوم عن الأساطير الحورية محفوظ لنا من خلال الألواح الحيثية، لا من كتب حورية كاملة بقيت سليمة حتى عصرنا.

وفي مقدمة هذا العالم الديني وقف تشوب (تيشوب)، إله العاصفة، الذي ارتبط بالرعد والمطر والجبال والقوة السماوية وكان من أهم آلهة الحوريين، ثم أصبح أيضًا من الشخصيات الكبرى في الدين الحيثي بعد دخول العناصر الحورية إلى العالم الحيثي وإلى جانبه وقفت خِبات أو هيبات، إحدى أهم الإلهات الحورية، والتي ارتبطت بتشوب ارتباطًا وثيقًا وأصبحت معه جزءًا أساسيًا من المجمع الإلهي الحوري.

وكانت شاووشكا من أكثر الإلهات إثارة للاهتمام؛ فقد ارتبطت بالحب والخصوبة، لكنها لم تكن إلهة حب فقط، إذ حملت أيضًا صفات مرتبطة بالحرب والقوة وهذه الطبيعة المزدوجة جعلتها شخصية مميزة في عالم الآلهة الحوري، كما ارتبطت في بعض البيئات الرافدية بإلهة عشتار. وهكذا لم تكن الحدود بين الآلهة ثابتة تمامًا؛ فقد كانت الشعوب تتبادل الآلهة والصفات والأسماء، فتظهر الإلهة نفسها بأشكال مختلفة في أكثر من تقليد ديني.

لكن أكثر الشخصيات إثارة في الأساطير الحورية ربما كان كوماربي، الإله القديم الذي ارتبط بالسيادة وبالأجيال الأولى من الآلهة. وتدور حوله واحدة من أعقد الدورات الأسطورية التي حفظتها لنا النصوص الحورية- الحيثية، والمعروفة اليوم باسم دورة كوماربي أو «أغنية الظهور». وفيها تبدأ الحكاية بصراع على عرش السماء؛ إذ كان ألالو ملك الآلهة في البداية، ثم أطاح به خادمه أو ساقيه أنو واستولى على العرش وبعد سنوات من الحكم، ثار كوماربي، الذي كان خادمًا لأنو، وانتزع منه السلطة وفي أثناء الصراع بينهما حدثت ولادة عجيبة ارتبطت بأصل جيل جديد من الآلهة، وكان من أبرزهم إله العاصفة تشوب، الذي أصبح لاحقًا منافسًا لكوماربي على السيادة وهذه الحكاية لا تقدم لنا مجرد قصة عن آلهة متخاصمة، بل تصور العالم الإلهي نفسه باعتباره عالمًا تحكمه أجيال متعاقبة من الحكام، ينتزع كل جيل منهم السلطة من الجيل الذي سبقه.

ولم يتخلَّ كوماربي بسهولة عن طموحه فقد أصبح تشوب، إله العاصفة، خصمه الأكبر، وبدأ كوماربي يبحث عن وسائل لإسقاطه ومن هنا تظهر واحدة من أكثر الشخصيات غرابة في الميثولوجيا الحورية أولّيكومي، الوحش الحجري الهائل. لم يكن أولّيكومي مخلوقًا عاديًا؛ فقد خُلق ليكون سلاحًا ضد تشوب، ونما بطريقة خارقة حتى أصبح تهديدًا للعالم الإلهي كله وتروي القصة أن جسده الحجري ارتفع من الأرض بصورة هائلة، حتى أصبح قادرًا على تحدي تشوب نفسه وعندما عجزت القوة العادية عن إيقافه، لجأت الآلهة إلى أداة قديمة تفصل ما اتصل بالأرض، واستخدمت أداة نحاسية أشبه بالمنجل لقطع الصلة بين الوحش والأرض، وبذلك أمكن التغلب عليه.

وهذه ليست الحكاية الوحيدة في الصراع بين تشوب وأعدائه فقد حفظت النصوص أيضًا قصة هيدامّو، وهو وحش بحري أو أفعى بحرية هائلة،

ظهر بوصفه خصمًا آخر لقوى النظام الإلهي كما تظهر شخصية إيلويانكا في تقاليد مرتبطة بصراع إله العاصفة مع الأفعى، وهي قصة تقوم على مواجهة بين إله العاصفة وقوة أفعوانية تهدد النظام وتكشف هذه القصص عن فكرة متكررة في أساطير المنطقة إله العاصفة يقف في مواجهة قوة مرتبطة بالفوضى أو البحر أو الوحوش، ثم يستعيد النظام بانتصاره عليها.

ولم يكن الصراع على العرش الإلهي هو الموضوع الوحيد في الأساطير الحورية فقد احتلت الولادات الخارقة والتحولات الغريبة مكانًا مهمًا فيها. ففي دورة كوماربي نفسها تظهر ولادات لا تشبه الولادة البشرية، إذ تحمل الآلهة أبناءها أو تنجبهم بطرق عجيبة، ويصبح الجسد الإلهي نفسه جزءًا من الصراع على السلطة ولهذا يرى الباحثون أن هذه النصوص تمثل تقليدًا أسطوريًا متكاملًا عن نشأة الحكم الإلهي وتعاقب أجياله، وليس مجرد مجموعة من القصص المنفصلة.

وهنا تظهر أهمية الحوريين بالنسبة إلى تاريخ الحيثيين فعندما ازداد الاحتكاك بين العالم الحوري والحيثي، لم تنتقل الأسلحة والسلع والأفكار السياسية وحدها؛ انتقلت الآلهة والحكايات أيضًا وقد دخلت آلهة حورية عديدة إلى المجمع الديني الحيثي، وحُفظت قصص ذات أصل حوري في مكتبات حاتوشا، عاصمة الحيثيين. ومن أشهر الأدلة على ذلك دورة كوماربي نفسها، التي وصلتنا في نصوص مكتوبة بالحيثية، مع أن الشخصيات الإلهية الأساسية فيها حورية، وهو ما يجعلها من أوضح الشواهد على انتقال الأدب والأسطورة من البيئة الحورية إلى العالم الحيثي.

وهكذا لم تكن العلاقة بين الحوريين والحيثيين مجرد علاقة بين مملكتين تتصارعان على الأرض لقد كان هناك تبادل ثقافي عميق؛ فالحيثيون لم

يكتفوا بمعرفة الآلهة الحورية، بل احتفظوا بجزء من قصصها ونسخوها في ألواحهم، حتى أصبح من الممكن لنا بعد آلاف السنين أن نقرأ عن كوماربي وتشوب وأولّيكومي من خلال مكتبة حثية. وربما كان هذا أحد أكثر آثار الحوريين بقاءً فمملكتهم السياسية زالت، لكن بعض آلهتهم وأساطيرهم واصلت حياتها في نصوص شعوب أخرى.

## موسيقى وصلت من أربعة آلاف عام

ومن أجمل ما وصلنا من عالم الحوريين ارتباطهم بالموسيقى. ففي مدينة أوغاريت عُثر على ألواح طينية تحمل نصوصًا موسيقية، من بينها نص مشهور يُعرف باسم النشيد الحوري لأوغاريت، من أقدم وأكمل الأمثلة المعروفة على التدوين الموسيقي القديم، مع بقاء تفسير النوتة الموسيقية موضع خلاف بين الباحثين.

والنص مكتوب باللغة الحورية،يرجح أنه ويرتبط بترنيمة دينية موجهة إلى إحدى الآلهة.

## من أوركيش إلى ميتاني

مع مرور الوقت تغيرت الخريطة السياسية. ظهرت مراكز جديدة، وازدادت قوة الممالك المحلية، وبدأت جماعات حورية تدخل في كيانات سياسية أكبر وفي القرن السادس عشر قبل الميلاد تقريبًا، برزت قوة ستصبح واحدة من أهم الممالك في المنطقة ميتاني.

وهنا ينتقل تاريخ الحوريين من عالم المدن والمجتمعات المتفرقة إلى عالم المملكة القوية التي دخلت في صراع مباشر مع القوى الكبرى لكن ميتاني لم تظهر من فراغ فوراءها كانت هناك قرون من الوجود الحوري، ومدن

مثل أوركيش، وتقاليد دينية ولغوية، وشبكات سياسية وتجارية تشكلت قبل قيام المملكة ولهذا فإن فهم ميتاني يبدأ من فهم الحوريين.

ومن هنا تبدأ مرحلة جديدة من الحكاية حكاية مملكة ستقف بين قوتين عظيمتين مصر من الجنوب، والحيثيون من الشمال.

وفي الوسط، ستصبح أرض سورية وشمال بلاد الرافدين ساحةً لصراع سيحدد مستقبل المنطقة.

## مملكة ميتاني حين أصبحت القوة الحورية دولة

لم يكن ظهور ميتاني مجرد انتقال من اسم إلى اسم. ففي القرن السادس عشر قبل الميلاد تقريبًا، بدأت تتشكل في شمال بلاد الرافدين وشمال بلاد الشام قوة سياسية جديدة، أصبحت تُعرف باسم ميتاني، بينما استخدمت المصادر المصرية اسم نهارين للإشارة إلى منطقة مرتبطة بها.

وكانت ميتاني في موقع استراتيجي بالغ الأهمية بحسب الخريطة الجغرافية و السياسية في الألف الثاني قبل الميلاد فإلى الجنوب كانت مصر تسعى إلى تثبيت نفوذها في بلاد الشام، وإلى الشمال كانت القوى الأناضولية، وعلى رأسها الحيثيون، تتوسع تدريجيًا، بينما كانت آشور تراقب ما يحدث من الشرق وبين هذه القوى الكبرى ظهرت مملكة ميتاني مملكة واسعة في قلب الطرق امتدت مناطق نفوذ ميتاني في شمال بلاد الرافدين، وشملت أجزاء من شمال سورية والمناطق المحيطة بنهر الخابور. وكانت السيطرة على هذه المنطقة مهمة للغاية فهي تقع على طرق تربط الأناضول ببلاد الرافدين، كما تصل شمال بلاد الشام بمناطق الجنوب ومن يسيطر على هذه الطرق يستطيع أن يتحكم في حركة الجيوش والتجارة والأخبار ولذلك لم تكن ميتاني دولة هامشية كانت في قلب شبكة سياسية واسعة.

لكننا نواجه مشكلة عندما نحاول رسم حدودها على الخريطة فلا توجد لدينا حدود ثابتة ومعروفة لكل فترة من تاريخها، لأن نفوذ المملكة كان يتوسع ويتراجع بحسب قوة الملوك والحروب والتحالفات ولهذا يفضل الباحثون الحديث عن مناطق نفوذ ميتانية بدل رسم حدود دقيقة لا تدعمها الأدلة.

## واشوكاني العاصمة الغامضة

كان لميتاني عاصمة ملكية عُرفت باسم واشوكاني. لكن موقعها الدقيق لم يُحسم حتى اليوم بشكل نهائي ويُرجح أنها كانت في منطقة الخابور، وربطها بعض الباحثين بموقع تل الفخيرية، إلا أن تحديدها بصورة قاطعة ما يزال غير ممكن وهنا نجد مفارقة غريبة.

نحن نعرف اسم عاصمة واحدة من أقوى ممالك عصرها، ونعرف أسماء ملوكها وعلاقاتها بمصر والحيثيين، لكننا لا نستطيع أن نشير بثقة إلى مكان قصرها الملكي على الخريطة لقد ابتلعت الأرض جزءًا كبيرًا من عاصمتها.

## ملوك صنعوا قوة ميتاني

برز عدد من الملوك في تاريخ ميتاني، ومن أشهرهم بارتاتاما، ثم شاوشتاتار، وبعده أرتاتاما الأول، وتوشراتا.

وكان لكل مرحلة منهم ظروفها السياسية المختلفة.

كان من أبرزهم بارتاتاما، الذي ارتبط اسمه بمرحلة توسع المملكة.

ثم جاء شاوشتاتار، الذي يُعد من أشهر ملوك ميتاني، ويبدو أن المملكة بلغت في عهده مرحلة مهمة من القوة والاتساع.

وتشير المصادر إلى أن نفوذ ميتاني امتد في عهده على مناطق واسعة من شمال بلاد الشام، ودخلت مدن وممالك عديدة ضمن دائرة نفوذها.

وتشير الأدلة إلى أنه وسّع نفوذ ميتاني، ودخل في صراع مع آشور، حتى تمكن من فرض سيطرة ميتانية عليها لفترة.

وتذكر المصادر اللاحقة قصة مرتبطة بشاوشتاتار، وهي أخذه بابًا أو بوابة ثمينة من مدينة آشور إلى عاصمة ميتاني.

ولا يمكن التعامل مع كل تفاصيل هذه الرواية باعتبارها سجلًا يوميًا للأحداث، لكنها تعكس مكانة ميتاني في مرحلة كانت فيها آشور نفسها تحت نفوذ قوة أكبر.

## ميتاني وآشور

العلاقة بين ميتاني وآشور كانت من أهم العلاقات السياسية في تاريخ المملكة فآشور كانت تقع شرق مناطق النفوذ الميتاني، وكانت تسعى بطبيعتها إلى توسيع نفوذها أما ميتاني، فكانت تريد الحفاظ على سيطرتها على شمال بلاد الرافدين وفي مرحلة قوة ميتاني، استطاعت المملكة أن تفرض نفوذها على آشور لكن الوضع لم يستمر إلى الأبد.

فعندما بدأت ميتاني تضعف، ظهرت آشور من جديد كقوة مستقلة وسوف نرى لاحقًا أن هذا التغير سيكون من أهم أسباب نهاية النفوذ الميتاني.

## ميتاني ومصر

إذا كانت آشور تمثل الخطر القادم من الشرق، فإن مصر كانت القوة الكبرى في الجنوب وبعد طرد الهكسوس وبداية الدولة الحديثة، بدأ الفراعنة بتوسيع نفوذهم في بلاد الشام وكانت سورية منطقة مهمة جدًا بالنسبة

لمصر، ليس فقط لأسباب اقتصادية، بل لأنها تمثل حاجزًا أمام القوى القادمة من الشمال ولهذا اصطدمت المصالح المصرية بمصالح ميتاني.

لكن العلاقة بين القوتين لم تكن حربًا دائمة وهنا تظهر واحدة من أجمل صفحات تاريخ ميتاني.

## الدبلوماسية الملكية عندما تحولت الحرب إلى زواج

بعد فترات من الصراع، اتجهت مصر وميتاني في بعض المراحل نحو التحالف وكان الزواج السياسي إحدى أهم أدوات هذا التحالف فقد تزوج عدد من الفراعنة أميرات ميتانيات، وأصبحت العلاقات بين البلاطين أكثر قربًا وكانت هذه الزيجات أكثر من قصة عاطفية بين شخصين كانت اتفاقًا سياسيًا فالزواج بين الأسرة الحاكمة في مصر والأسرة الحاكمة في ميتاني كان يعني تثبيت التحالف، وتهدئة الصراع، وتبادل الهدايا، وفتح قنوات دبلوماسية وهذا يخبرنا شيئًا مهمًا عن عالم الشرق القديم.

ومن أشهر الأمثلة زواج الأميرة الحورية جيلوخيبا ابنة الملك شوتارنا الثاني، من الفرعون المصري أمنحتب الثالث.

كما أرسل الملك الميتاني توشراتا ابنته الأميرة تادوخيبا، إلى البلاط المصري، في إطار العلاقات السياسية بين الدولتين.

وهكذا لم تكن النساء الملكيات مجرد شخصيات داخل القصور، بل كن أحيانًا جزءًا من شبكة التحالفات التي تحدد شكل العلاقات بين الممالك.

في عهد الفرعون تحتمس الرابع بدأت مرحلة من العلاقات السلمية مع ميتاني، ثم تطورت العلاقات أكثر في عهد أمنحتب الثالث لم تكن الحروب هي الوسيلة الوحيدة التي استخدمها الملوك لصناعة السياسة أحيانًا كان الزواج أقوى من السيف.

# ميتاني ومصر من ساحة الحرب إلى القصر

**بعد فترات من الصراع على النفوذ في بلاد الشام، تحولت العلاقة بين القوتين إلى واحدة من أبرز العلاقات الدبلوماسية في الشرق الأدنى القديم.**

**وتكشف رسائل تل العمارنة جانبًا مهمًا من هذه العلاقة فقد احتوى أرشيف تل العمارنة على مراسلات بين مصر وعدد من القوى الكبرى في المنطقة، ومن بينها ملوك ميتاني وكانت هذه المراسلات مختلفة في أسلوبها عن رسائل حكام المدن الصغيرة؛ إذ كان ملوك القوى الكبرى يخاطبون الفرعون بوصفه ندًا لهم، ويستخدمون لغة «الأخوة» الملكية.**

**وكانت الرسائل تتناول موضوعات متعددة، من بينها تبادل الهدايا والزواج بين الأسر الملكية، والعلاقات السياسية، والذهب الذي كان البلاط المصري يشتهر بامتلاكه وهكذا أصبحت الهدايا الملكية جزءًا من الدبلوماسية نفسها لم يكن إرسال الذهب أو المجوهرات مجرد كرم من ملك إلى آخر، بل كان يحمل معنى سياسيًا، ويؤكد استمرار العلاقة بين القصرين.**

**فحين يتزوج فرعون أميرة من بيت ميتاني، فإن الزواج لا يجمع شخصين فقط، بل يربط أسرتين حاكمتين ومملكتين بمصالح مشتركة ومن هنا تظهر ميتاني في رسائل تل العمارنة لا كمملكة تحارب مصر فحسب، بل كقوة كانت قادرة على الدخول في دبلوماسية الند للند مع واحدة من أعظم ممالك العالم القديم.**

# رسائل من القصور

وأفضل ما يكشف لنا طبيعة هذه العلاقات هو أرشيف تل العمارنة في مصر.

فقد عُثر هناك على مجموعة كبيرة من الرسائل الدبلوماسية المكتوبة باللغة الأكادية، وهي اللغة التي كانت تُستخدم على نطاق واسع في المراسلات الدولية في ذلك العصر ومن بين هذه الرسائل رسائل أرسلها ملوك ميتاني إلى الفراعنة ومن بينها رسائل أرسلها الملك توشراتا إلى أمنحتب الثالث، ثم إلى أخناتون.

وتكشف الرسائل عالمًا دبلوماسيًا يشبه في بعض جوانبه عالم السياسة الحديث؛ ملوك يرسلون السفراء، ويطلبون الذهب، ويتبادلون الهدايا، ويتفاوضون حول الزواج والتحالفات، ويراقبون تحركات أعدائهم.

وتظهر فيها لغة الدبلوماسية الملكية بكل ما تحمله من عبارات الاحترام والمودة الرسمية وطلبات الهدايا ومن أشهر الشخصيات التي تظهر في هذه المراسلات الملك توشراتا وكان توشراتا يحاول الحفاظ على العلاقة مع مصر في وقت بدأت فيه ميتاني تواجه ضغوطًا متزايدة من الحيثيين وآشور وفي رسائله تظهر أهمية الذهب المصري بالنسبة إلى البلاط الميتاني.
فالهدايا الملكية لم تكن مجرد مجاملات كانت جزءًا من النظام الدبلوماسي نفسه وكان الذهب علامة على الثروة والقوة والمكانة.

# ميتاني والحيثيون

لكن في الشمال كانت قوة أخرى تكبر بسرعة الحيثيون وكان ملكهم شوبيلوليوما الأول من أبرز الشخصيات التي غيرت ميزان القوى في المنطقة تزوج شاتيوازا ابن توشراتا من أميرة من الأسرة الحيثية، في زواج سياسي جمع بين الطرفين.

بدأت الحملات الحيثية ضد مناطق نفوذ ميتاني، واستفاد الحيثيون من الاضطرابات الداخلية التي أصابت المملكة كانت ميتاني قد بدأت تدخل مرحلة صعبة الصراع على العرش والضغط الآشوري والتوسع الحيثي والاعتماد المتزايد على حلفائها.

كل ذلك جعل المملكة أكثر هشاشة وفي النهاية تمكن شوبيلوليوما من ضرب قلب النفوذ الميتاني وأصبحت ميتاني نفسها تحت نفوذ الحيثيين.

لكن سقوط المملكة لم يحدث في لحظة واحدة بل كان عملية طويلة من التفكك السياسي وبعد ذلك استمرت بقايا الأسرة الحاكمة والكيانات المرتبطة بميتاني، بينما أصبح شمال بلاد الرافدين مسرحًا لصعود قوة أخرى آشور.

## المدن التي غيّرت ولاءها

مع تراجع قوة ميتاني، بدأت المدن والممالك السورية التي كانت تدور في فلكها تتحول إلى قوى أخرى.

وبعضها اتجه نحو الحيثيين، بينما حافظت أخرى على علاقاتها بمصر.

## الخيل والعربات قوة ميتاني في ساحات الحرب

لم تكن الجيوش في الشرق القديم تعتمد على المشاة وحدهم فمع تطور استخدام الخيول والعربات الحربية، تغير شكل المعركة نفسها وأصبحت العربة الحربية سلاحًا يحتاج إلى أكثر من مجرد حصان قوي كانت تحتاج إلى خيول مدربة، وسائق ماهر، ومحارب قادر على استخدام القوس والسلاح أثناء الحركة وفي هذا المجال ارتبط اسم ميتاني بسمعة واسعة.

## لماذا كانت الخيول مهمة؟

كانت الخيول في ذلك العصر مختلفة عن مفهومنا الحديث للفرس المستخدم في السباقات أو الركوب. فالجيش يحتاج إلى حيوان يتحمل التدريب الطويل، ويستجيب للأوامر، ويحافظ على سرعته، ولا يفزع بسهولة وسط الضجيج والحركة وكان تدريب الخيل يحتاج إلى وقت وخبرة.

ولهذا أصبحت تربية الخيول وتدريبها مهارة عسكرية متخصصة.

وكانت العربات الحربية نفسها من التقنيات المهمة في جيوش العصر البرونزي المتأخر فهي سريعة، وتمنح المحارب ارتفاعًا يسمح له باستخدام القوس، ويمكنها التحرك بسرعة في أرض مناسبة ولهذا ارتبطت مكانة الممالك وقوة جيوشها بقدرتها على امتلاك الخيول والعربات وتدريبها.

## كِكولي الرجل الذي ترك لنا منهجًا للتدريب

ومن أشهر الأسماء المرتبطة بتدريب الخيول في هذا العصر كِكولي.

كان كِكولي خبيرًا في تدريب الخيل، ويُعرف من نص عُثر عليه في العاصمة الحيثية حاتوشا.

واللافت أن النص كُتب باللغة الحيثية، لكنه يقدم صاحبه بوصفه خبيرًا من أرض ميتاني ويُعد النص من أهم الوثائق التي وصلت إلينا عن تدريب الخيول في الشرق الأدنى القديم.

فهو لا يتحدث عن الخيل بطريقة عامة فقط، بل يقدم برنامجًا تدريبيًا يتضمن مراحل متتابعة من التمرين والراحة والعناية بالحيوانات.

وهذا يجعل الوثيقة استثنائية لأننا نادرًا ما نحصل من العالم القديم على وصف تفصيلي لمهارة عملية بهذه الصورة.

## تدريب طويل ودقيق

يكشف نص كِكولي عن معرفة متقدمة بسلوك الخيل وطرق إعدادها فالخيل لم تكن تُترك لتجري حتى تصبح قوية كان التدريب منظمًا، ويتضمن فترات من الحركة والراحة، وتدرجًا في زيادة الجهد، وعناية مستمرة بالحيوان وكان الهدف النهائي إعداد الخيول لسحب العربات الحربية بكفاءة وهذا يعني أن وراء العربة التي نراها في صور المعارك القديمة سنوات من التدريب الجندي الذي يقف داخل العربة لم يكن وحده صاحب المهارة الحصان نفسه كان جزءًا من السلاح.

## اللغة التي تكشف لنا عالمًا آخر

ومن المثير للاهتمام أن نص كِكولي يحتوي على كلمات مرتبطة بتدريب الخيل يُعتقد أن بعضها يحمل أثرًا من لغات مرتبطة بالنخبة الحاكمة في ميتاني ومن أشهرها ألفاظ مرتبطة بالأعداد وأوامر التدريب.

وقد أثارت هذه الكلمات اهتمام الباحثين لأنها تساعد على فهم التركيب اللغوي والثقافي لمجتمع ميتاني لكن يجب أن نكون حذرين هنا وجود هذه العناصر اللغوية لا يعني أن سكان ميتاني جميعًا كانوا يتحدثون لغة واحدة من أصل واحد فالمملكة كانت متعددة الثقافات واللغات، والحوريون كانوا عنصرًا أساسيًا فيها، بينما تظهر إلى جانب اللغة الحورية تأثيرات لغوية أخرى وهذا يجعل ميتاني مثالًا واضحًا على التداخل الثقافي الذي ميز الشرق القديم.

## العربة أكثر من وسيلة نقل

كانت العربة الحربية مشروعًا عسكريًا متكاملًا احتاجت إلى صناعة دقيقة من الخشب والجلد والمعادن، وإلى عجلات خفيفة وقوية في الوقت نفسه واحتاج الجيش إلى الاسطبلات ومخازن العلف والعاملين في رعاية الخيل كما احتاج إلى مدربين وسائقين ومحاربين يعرفون كيف يعملون معًا ولهذا فإن انتشار العربات الحربية يدل على وجود تنظيم اقتصادي وعسكري متقدم لم تكن المملكة تشتري عربة وتنتهي القصة كان عليها أن تمتلك نظامًا كاملًا لإنتاجها وتشغيلها وصيانتها.

## من التدريب إلى المعركة

عندما تدخل العربة ساحة المعركة، تصبح السرعة عنصرًا حاسمًا يمكن للعربة أن تقترب بسرعة من صفوف العدو، ثم تبتعد قبل أن يتمكن المشاة من الوصول إليها وكان الرامي داخل العربة يستطيع إطلاق السهام من موقع مرتفع نسبيًا لكن العربة لم تكن سلاحًا مثاليًا في كل الظروف فالأرض الوعرة أو شديدة الانحدار أو المليئة بالعوائق يمكن أن تحد من فعاليتها ولهذا كانت الجيوش تختار مواقع القتال وتستخدم العربات وفق طبيعة الأرض.

## ميتاني وصناعة القوة

عندما نجمع هذه التفاصيل معًا، تظهر لنا صورة مختلفة عن ميتاني لم تكن مجرد مملكة دخلت في حروب مع مصر والحيثيين كانت تمتلك خبرات متخصصة، وشبكات تربية وتدريب للخيول، ونظامًا عسكريًا قادرًا على استخدام العربات، وطبقة من الخبراء الذين نقلوا معارفهم عبر الممالك.

**وهذا يفسر لماذا كانت الخيول والعربات جزءًا مهمًا من العلاقات الدبلوماسية أيضًا فالخيل كانت ثروة والمعرفة المتعلقة بتدريبها كانت قيمة استراتيجية لكن القوة العسكرية وحدها لا تكفي.**

**رغم كل هذه القوة، لم تستطع ميتاني أن تحافظ على موقعها إلى الأبد فالمملكة كانت محاصرة بين قوى أكبر منها.**

**الحيثيون من الشمال وآشور من الشرق ومصر من الجنوب.**

**وكانت كل واحدة من هذه القوى تملك موارد بشرية وعسكرية واقتصادية ضخمة ومع ضعف السلطة المركزية في ميتاني، بدأت المناطق التابعة لها تخرج تدريجيًا من سيطرتها ثم أصبحت آشور أقوى من أي وقت مضى وفي النهاية، لم تعد ميتاني هي القوة التي تتحكم في شمال بلاد الرافدين تحولت المملكة التي كانت يومًا تنافس مصر والحيثيين إلى أرض تتنازعها القوى الأخرى لكن سقوط الدولة لم يكن نهاية الحوريين.**

**فالحوريون استمروا في الوجود في مناطق مختلفة، وظهرت عناصر من ثقافتهم في مجتمعات لاحقة وبقيت لغتهم حاضرة في بعض النصوص، وبقيت آلهتهم في التقاليد الدينية، وبقي أثرهم في أسماء الأشخاص والأماكن وهنا نصل إلى أسئلة مهمة**

**إذا سقطت ميتاني، فأين ذهب الحوريون؟**

**هل اختفوا من التاريخ تمامًا؟**

**أم أنهم اندمجوا في الشعوب والممالك التي جاءت بعدهم؟**

# سقوط ميتاني وبقاء الحوريين

لم يكن سقوط ميتاني حدثًا واحدًا يمكن تحديده بمعركة واحدة ثم القول إن المملكة انتهت فالمملكة بدأت تضعف تدريجيًا تحت ضغط الحيثيين والآشوريين، وفي الوقت نفسه ظهرت صراعات داخلية على العرش أضعفت قدرتها على مواجهة خصومها وكان هذا الضعف فرصة مثالية لآشور فبعد أن كانت آشور خاضعة لنفوذ ميتاني في مرحلة من المراحل، بدأت تستعيد استقلالها وقوتها، ثم أخذ ملوكها يتوسعون في الأراضي التي كانت ميتاني تسيطر عليها وتشير المصادر إلى أن آشور بدأت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد باستعادة أجزاء من أراضي ميتاني، ثم توسع نفوذها في شمال بلاد الرافدين خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد.

## صراع على العرش

كان من أكبر مشكلات ميتاني أن الصراع لم يعد خارجيًا فقط فبعد وفاة بعض ملوكها، أصبح العرش نفسه موضع تنافس، ودخلت القوى الخارجية في هذا الصراع.

ومن أبرز الأحداث المرتبطة بهذه المرحلة وصول شاتيوازا إلى العرش، في وقت كانت فيه المملكة قد أصبحت أضعف بكثير من السابق.

ولجأ شاتيوازا إلى الحيثيين، وأصبح شوبيلوليوما الأول طرفًا أساسيًا في تثبيت حكمه وتكشف المعاهدة التي أُبرمت بين الطرفين جانبًا مهمًا من هذه المرحلة، إذ أصبحت ميتاني في وضع أقرب إلى التبعية للحيثيين بدل أن تكون القوة المستقلة التي كانت تنافس مصر وآشور.

وهنا نرى كيف يمكن للتحالف الذي ينقذ ملكًا من السقوط أن يتحول في الوقت نفسه إلى فقدان جزء من استقلال مملكته.

وتكتسب المعاهدة أهمية إضافية بسبب قائمة الآلهة التي استُشهد بها بوصفها شهودًا عليها، ومن بينهم أسماء ذات صلة واضحة بالتقاليد الهندوأرية، مثل ميثرا وإندرا وفَرونا والناساتيا.

وهذه الأسماء تقدم لنا واحدة من أكثر الأدلة إثارة للاهتمام على التركيب الثقافي المعقد لميتاني.

## من هم الهندوأريون؟

يطلق الباحثون مصطلح الهندوأريين على جماعات قديمة تحدثت بلهجات تنتمي إلى فرع من عائلة اللغات الهندوأوروبية، وانتشرت جماعات منها في مناطق واسعة من آسيا، ومن بينها شمال الهند وشبه القارة الهندية، بينما ظهرت آثار لغوية مرتبطة بها أيضًا في مناطق أخرى من الشرق الأدنى.

ولا يعني ذلك أن ميتاني كانت مملكة هندية، أو أن سكانها كانوا من الهند بالمعنى الذي نعرفه اليوم فالمقصود هنا عنصر لغوي وثقافي قديم ظهر بصورة خاصة في بعض أسماء الملوك والآلهة والمصطلحات المرتبطة بالخيول والعربات في ميتاني.

أما كلمة «فيدي» فتشير إلى التقاليد الدينية والنصوص القديمة التي ارتبطت بالهند القديمة، وخاصة الفيدا، وهي مجموعة من النصوص الدينية التي دُوّنت باللغة السنسكريتية القديمة ومن خلالها نعرف الكثير عن أسماء الآلهة الهندوأرية ووظائفها وأساطيرها، ولذلك يستخدم الباحثون هذه النصوص للمقارنة مع الآثار الهندوأرية التي ظهرت في ميتاني.

# آلهة جاءت من بعيد

ومن أكثر ما يكشف التنوع الثقافي في ميتاني أسماء بعض الآلهة التي ظهرت في معاهدة شاتيوازا، ومن بينها ميثرا، وإندرا، وفَرونا، والناساتيا. وهذه الأسماء ليست مجرد أسماء عابرة؛ فقد كانت لها مكانة في تقاليد هندوأرية قديمة، وتفتح لنا نافذة صغيرة على عالم ديني أقدم بكثير من الممالك التي ظهرت في شمال بلاد الرافدين.

كان **ميثرا** مرتبطًا بالعهد والوفاء والالتزام، ولذلك ارتبط اسمه بفكرة حفظ الاتفاقات والمواثيق وفي التقاليد الهندية اللاحقة ظهر بوصفه إلهًا يراقب العلاقات والعهود بين البشر، ويقف إلى جانب النظام والصدق ومن هنا يبدو وجود اسمه في معاهدة سياسية أمرًا لافتًا؛ فالملك الذي يقسم عهدًا أمام ميثرا لا يقسم أمام اسم عشوائي، بل أمام قوة إلهية ارتبطت بحماية العهود.

أما **فَرونا** فكان من الآلهة الكبرى في التقاليد الفيدية القديمة، وارتبط بالنظام الكوني والقانون الأخلاقي، وبمراقبة أفعال البشر وتصور بعض النصوص القديمة فَرونا سيدًا للمياه والسماء، يمتلك قدرة على معرفة ما يفعله الناس حتى عندما يظنون أن أحدًا لا يراهم وكان يُعتقد أن من يخرق النظام أو العهد يمكن أن يقع تحت عقابه، ولهذا كان حضوره إلى جانب ميثرا في تقاليد العهود ذا معنى قوي.

أما **إندرا** فكان مختلفًا في طبيعته؛ فهو إله المحاربين والعواصف والرعد، وأحد أشهر أبطال الأساطير الفيدية ومن أشهر قصصه صراعه مع الأفعى أو التنين فريترا، الذي ارتبط بحبس المياه ومنعها من الجريان وفي الأسطورة يهزم إندرا خصمه بسلاحه الشهير، الفاجرا، فتتحرر المياه

وتعود إلى العالم ولهذا ارتبط إندرا بالقوة والانتصار والعاصفة والمطر، وكان من أكثر الآلهة حضورًا في التقاليد الفيدية المبكرة.

أما **الناساتيا** فكانا توأمين إلهيين يُعرفان باسم **الأشوين**، وارتبطا بالشفاء والإنقاذ ومساعدة البشر في المواقف الصعبة وتروي الأساطير عنهما أنهما كانا يظهران عند الفجر، وينقذان من وقع في الخطر، ويعيدان الصحة لمن أصابه المرض وكانا من الآلهة المرتبطة بالرحلة والنجاة والتحول من الظلام إلى النور وهكذا نجد في معاهدة ميتاني مجموعة غريبة ومثيرة من الآلهة:

ميثرا، حامي العهد.

فَرونا، حارس النظام والمواثيق.

إندرا، إله العاصفة والحرب والانتصار.

الناساتيا، التوأمان المنقذان والمرتبطان بالشفاء.

ولعل وجود هذه الأسماء الأربعة معًا هو ما يجعل معاهدة شاتيوازا واحدة من أكثر الوثائق إثارة للاهتمام لفهم الطبقات الثقافية التي تشكلت منها ميتاني.

## من مملكة كبرى إلى دولة ضعيفة

بعد أن كانت ميتاني قوة إقليمية كبرى، أصبحت أراضيها موزعة بين نفوذ الحيثيين وآشور وأخذت آشور على وجه الخصوص تستفيد من تراجع ميتاني ومع مرور الوقت، لم يعد اسم ميتاني يدل على الإمبراطورية التي عرفناها في عهد شاوشتاتار وتوشراتا.

**أصبحت المنطقة الأساسية من أراضيها تُعرف في المصادر الآشورية باسم هانيغلبات، وبدأت الدولة الآشورية تنظر إليها باعتبارها منطقة يمكن السيطرة عليها وهنا دخلت ميتاني في مرحلة جديدة من تاريخها.**

**فبعد أن كانت تنافس مصر والحيثيين، أصبحت تتنافس على البقاء أمام قوة آشورية صاعدة ومع توسع آشور، أخذ نفوذ هانيغلبات يتراجع تدريجيًا.**

**وفي النهاية، ضُمّت المناطق التي كانت تشكل قلب المملكة إلى الدولة الآشورية وهكذا انتهت ميتاني كدولة مستقلة.**

**بل ظهرت كيانات محلية في المنطقة، وأصبح النفوذ الآشوري يتوسع بصورة متزايدة وفي النهاية أصبحت الأراضي التي كانت قلب ميتاني جزءًا من المجال الآشوري لكن سقوط المملكة لا يعني أن الحوريين اختفوا وهنا يجب أن نفصل بين الدولة والشعب فالدولة يمكن أن تسقط خلال سنوات أما السكان فلا يختفون بالضرورة معها.**

## أين ذهب الحوريون؟

**لا توجد لدينا قصة واحدة تقول "في هذا العام انتهى الحوريون."**

**وهذا مهم جدًا فالحوريون كانوا منتشرين أصلًا في مناطق واسعة، وعاشوا إلى جانب شعوب أخرى، ولذلك كان اندماجهم التدريجي في المجتمعات اللاحقة أكثر احتمالًا من اختفائهم المفاجئ استمر ظهور أسماء وأشخاص وعناصر ثقافية مرتبطة بالحوريين في مناطق مختلفة كما بقيت آثار لغتهم في النصوص، واستمرت بعض التقاليد الدينية المرتبطة بالآلهة الحورية في بيئات لاحقة.**

**وبهذا تحولت الهوية الحورية تدريجيًا من هوية مرتبطة بمملكة قوية إلى جزء من النسيج الثقافي لشعوب المنطقة.**

# أثر الحوريين في العالم الذي جاء بعدهم

كان تأثير الحوريين أوسع من حدود ميتاني فقد انتقلت عناصر من معتقداتهم وأساطيرهم إلى العالم الحيثي، ووجدت الآلهة والقصص الحورية مكانًا في النصوص الحيثية وهذا ليس غريبًا فالحيثيون أنفسهم كانوا يعيشون في عالم متعدد الشعوب واللغات، واستوعبوا عددًا كبيرًا من التقاليد الدينية والثقافية التي جاءت من الشعوب المحيطة بهم.

ولهذا حفظت لنا الأرشيفات الحيثية بعضًا من التراث الحوري الذي ربما كان سيضيع لولا انتقاله إلى هذه النصوص ومن المفارقات أن جزءًا من تاريخ الحوريين وصل إلينا من خلال الشعوب التي جاءت بعدهم.

# آثار أخرى في ميتاني

وهناك جانب آخر جعل ميتاني محط اهتمام الباحثين، وهو وجود عناصر لغوية مرتبطة بالهندوأريين في أسماء بعض الملوك وأسماء الآلهة ومصطلحات مرتبطة بتدريب الخيل.

ومن أشهر الآلهة التي تظهر في معاهدة ميتانية - حيثية: ميثرا، وفَرونا، وإندرا، والناساتيا كما تظهر أسماء ملكية مثل أرتاتاما وتوشراتا وشاتيوازا.

لكن هذه الأدلة تحتاج إلى قراءة حذرة فوجود هذه العناصر لا يعني أن ميتاني كانت "مملكة هندوأرية" بالمعنى الكامل، ولا أن سكانها جميعًا كانوا يتحدثون لغة واحدة بل تشير الأدلة إلى وجود عنصر هندوأري مرتبط على الأرجح بالنخبة الحاكمة والعسكرية داخل مجتمع كان الحوريون عنصرًا أساسيًا فيه وهذا يجعل ميتاني مثالًا رائعًا على التداخل الثقافي في الشرق القديم.

# الحوريون بعد ميتاني

بعد سقوط ميتاني، لم يعد لدينا كيان سياسي حوري كبير يحمل الاسم نفسه لكن أثرهم لم ينتهِ فالعناصر الحورية استمرت في شمال بلاد الرافدين وشمال بلاد الشام والأناضول، واختلطت بثقافات الشعوب التي حكمت المنطقة ومع مرور الزمن، أصبح من الصعب أحيانًا الفصل بين ما هو حوري وما هو مكتسب من الشعوب الأخرى وهذه هي طبيعة الحضارات فهي لا تختفي دائمًا أحيانًا تذوب في الحضارة التي تأتي بعدها تبقى كلمة هنا واسم إله هناك وطقس في معبد وأغنية في نص وتقنية في صناعة وقصة تنتقل من لغة إلى أخرى.

# من ميتاني إلى العالم الآشوري

وبسقوط ميتاني تغير ميزان القوى في شمال بلاد الرافدين لم تعد المنطقة تحت هيمنة المملكة الحورية وبدأت آشور تتحول تدريجيًا إلى القوة الرئيسية في شمال بلاد الرافدين.

وفي القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد توسع الآشوريون في المنطقة، حتى أصبح شمال بلاد الرافدين تحت سيطرتهم الواسعة لكن التاريخ لم يكن قد انتهى فبعد سقوط ميتاني، ستشهد بلاد الشام وشمال بلاد الرافدين صعود قوى جديدة، وسقوط أخرى، وتغيرًا كبيرًا في شكل المنطقة.

أما الحوريون، الذين بدأنا معهم هذا الفصل، فقد تركوا لنا درسًا مهمًا

قد تسقط المملكة، لكن الشعب الذي صنعها لا يختفي في اليوم نفسه قد يتغير اسمه وقد تتغير لغته وقد تختلط عاداته بعادات الآخرين لكن شيئًا منه يبقى.

وهكذا، قبل أن نغادر عالم الحوريين وميتاني، يمكننا أن ننظر إلى أوركيش وواشوكاني، وإلى قصور الملوك، وإلى ألواح الطين، وإلى الخيول التي كانت تجر العربات في ساحات الحرب، ونسأل

كم من هذا العالم ما زال مدفونًا تحت أرض شمال بلاد الشام وبلاد الرافدين؟ ربما لا نملك الإجابة.

لكننا نعرف أن الأرض لم تقل كلمتها الأخيرة بعد ومن الشمال، ننتقل الآن إلى مملكة أخرى قامت شرق نهر الأردن مملكة عمون.

## لغز النخبة الهندوأرية

من أكثر الجوانب إثارة للاهتمام في ميتاني وجود مجموعة من الأسماء والمصطلحات التي ترتبط باللغات الهندوأرية.

فأسماء بعض ملوك ميتاني، مثل أرتاتاما وتوشراتا وشاتيوازا، تحمل عناصر لغوية لا تنتمي إلى الحورية، كما تظهر أسماء آلهة هندوأرية في معاهدة شاتيوازا، إضافة إلى مصطلحات مرتبطة بتدريب الخيول والعربات.

ولا يعني ذلك أن سكان ميتاني جميعًا كانوا هندوأريين على العكس، كانت المملكة ذات أساس حوري واضح، وكانت اللغة الحورية عنصرًا أساسيًا فيها ولهذا يرى الباحثون أن هذه العناصر قد تشير إلى وجود طبقة حاكمة أو عسكرية ذات أصول هندوأرية اندمجت تدريجيًا في المجتمع الحوري، بينما بقيت بعض آثار لغتها في أسماء الملوك والآلهة والمصطلحات المتخصصة والأمر اللافت أن هذه الآثار اللغوية لم تصلنا في نصوص طويلة بلغة هندوأرية كاملة، وإنما بقيت في صورة شظايا: أسماء، وألفاظ، وأسماء آلهة، ومصطلحات مرتبطة بالخيل وهذا يجعل ميتاني واحدة من أكثر الممالك غموضًا وإثارة في تاريخ الشرق القديم.

# الفصل الثاني

# العمونيون مملكة ربّة عمون

**بعد أن غادرنا عالم الحوريين وميتاني، نتجه جنوبًا نحو الهضاب الواقعة شرق نهر الأردن، في نطاق الهضاب الممتدة حول وادي الزرقاء حيث ظهرت إحدى الممالك التي لعبت دورًا مهمًا في تاريخ بلاد الشام خلال العصر الحديدي إنها مملكة عمون.**

**لم تكن عمون إمبراطورية واسعة تمتد على مساحات شاسعة، لكنها امتلكت موقعًا مهمًا، وموارد زراعية، وطرقًا تجارية، ومدنًا محصنة، وهو ما سمح لها بالبقاء بين قوى أكبر منها لقرون طويلة.**

**ومع مرور الزمن أصبحت عمون إحدى الممالك الصغيرة التي ظهرت بين قوى أكبر منها، مثل إسرائيل وآرام وموآب وأدوم، ثم دخلت لاحقًا في صراعات مع آشور وبابل وكان مركز المملكة مدينة عُرفت باسم ربّة عمون ومن هذه المدينة بدأت قصة مملكة سيصبح اسم عاصمتها جزءًا من اسم مدينة حديثة ما زالت قائمة حتى اليوم.**

## أرض عمون

**امتدت أراضي عمون في المنطقة الواقعة شرق نهر الأردن، وكان الجزء الأكبر منها ضمن الهضاب والسهول التي تتميز بموارد زراعية جيدة مقارنة بالمناطق الصحراوية الواقعة إلى الشرق والجنوب وكان الموقع مهمًا من الناحية الجغرافية فالمملكة تقع بالقرب من طرق تصل بين بلاد الشام الداخلية والمناطق الواقعة شرق الأردن، كما أن قربها من وادي**

**الأردن جعلها على اتصال بالمناطق الغربية ولم تكن الجغرافيا مجرد خلفية للقصة فالموقع هو أحد الأسباب التي جعلت عمون تدخل باستمرار في علاقات مع الممالك المجاورة، سواء كانت علاقات تجارة أو تحالف أو صراع وكانت الأرض الزراعية أساسًا مهمًا للحياة.**

**زرع السكان الحبوب، وربوا الحيوانات، واستفادوا من موارد المنطقة الطبيعية وفي الوقت نفسه كانت المدن المحصنة تحمي السكان والمخازن والطرق.**

## ربّة عمون

**كانت ربّة عمون أهم مدن المملكة ومركزها السياسي ويُعتقد أن اسمها ارتبط العظيمة/المدينة الكبرى ، وكانت المدينة قائمة في منطقة تتمتع بمصادر مائية جعلتها مناسبة للاستقرار البشري ومع مرور الزمن أصبحت ربّة عمون مركزًا إداريًا ودينيًا واقتصاديًا ولم تكن المدينة مجرد قصر للملك ففي داخلها كانت توجد مناطق سكنية، ومنشآت تخزين، ومراكز للحرف، وأماكن مرتبطة بالعبادة، بالإضافة إلى التحصينات التي تحميها.**

**وموقع المدينة نفسه مهم جدًا؛ فهي تقع على طرق تربط مناطق مختلفة من بلاد الشام، ولذلك استفادت من حركة الأشخاص والبضائع ومن المفارقات الجميلة أن المدينة لم تمت بعد سقوط مملكة عمون.**

**فبعد أن تغيرت القوى التي حكمت المنطقة، استمرت الحياة فيها خلال العصور اللاحقة، ثم أصبحت مدينة مهمة في العهد اليوناني والروماني، قبل أن تصل قصتها إلى المدينة الحديثة التي نعرفها اليوم باسم عمّان.**

**وهكذا فإن اسم العاصمة العمونية لم يختفِ مع سقوط المملكة بل بقي حيًا في اسم مدينة حديثة.**

# كيف نشأت مملكة عمون؟

لا يمكن تحديد لحظة واحدة نستطيع أن نقول عندها هنا تأسست عمون فالممالك القديمة لم تظهر عادة بقرار مفاجئ بل تطور المجتمع تدريجيًا وازدادت المستوطنات وظهرت مراكز أكثر قوة ونشأت طبقة حاكمة.

ثم بدأت بعض المدن تفرض نفوذها على المناطق المحيطة بها ومع تطور التنظيم السياسي والعسكري، أصبحت هذه المناطق تشكل مملكة.

وتشير الأدلة الأثرية إلى تطور واضح للمجتمعات في منطقة عمون خلال العصر الحديدي، وظهور هوية سياسية وثقافية مميزة وهنا تظهر أهمية الآثار فإذا كانت النصوص محدودة، فإن المدن والبيوت والأختام والتماثيل والنقوش تستطيع أن تساعدنا على إعادة بناء صورة المجتمع.

## العمونيون واللغة

كانت اللغة العمونية من اللغات السامية القديمة التي استُخدمت في شرق الأردن وهي قريبة من اللغات التي كانت تستخدمها الشعوب المجاورة، مثل المؤابية والأدومية والعبرية القديمة.

ولذلك فإن دراسة النقوش العمونية تكشف لنا وجود روابط لغوية وثقافية قوية بين شعوب المنطقة لكن التشابه لا يعني أن الجميع كانوا يتحدثون اللغة نفسها فكل مجتمع طور خصائصه المحلية، واستخدم أسماءه وألفاظه وطرق كتابته وكانت الكتابة العمونية تستخدم شكلًا من أشكال الخط الأبجدي القديم، المتفرع من البيئة الكتابية الكنعانية في بلاد الشام وهذا أمر مهم، لأن ظهور الكتابة المحلية يدل على وجود كتبة ومؤسسات قادرة على إنتاج النصوص وحفظها.

# مَلْكَم إله المملكة

كان الدين جزءًا أساسيًا من هوية عمون ومن أبرز الآلهة المرتبطة بالعمونيين مَلْكَم، الذي يظهر اسمه في المصادر والنقوش المرتبطة بالمملكة وكان الإله بالنسبة للمجتمع القديم أكثر من شخصية دينية كان حاميًا للمملكة، ومرتبطًا بالملك والسلطة والطقوس وكان الملك يؤدي دورًا دينيًا إلى جانب دوره السياسي والعسكري.

فالحرب يمكن أن تُقدَّم على أنها دفاع عن المملكة وعن إرادة الإله، والانتصار يمكن أن يُنسب إلى حماية الإله ولهذا كانت المعابد والطقوس جزءًا من النظام السياسي نفسه.

# الفن العموني

ومن أجمل ما وصلنا من عمون الأعمال الفنية والنحتية فقد اكتُشفت تماثيل وقطع حجرية تحمل ملامح فنية مميزة، وتظهر فيها تأثيرات من الثقافات المحيطة وهذا أمر طبيعي في بلاد الشام فالعمونيون لم يعيشوا في عزلة كانت هناك صلات مع مصر وبلاد الرافدين والممالك المجاورة، وكانت السلع والأفكار والأساليب الفنية تنتقل عبر الطرق التجارية ولذلك يمكن أن نجد في الفن العموني عناصر محلية إلى جانب تأثيرات خارجية وهذه القطع تساعدنا على تخيل العالم الذي عاش فيه سكان المملكة.

ومن أشهر الاكتشافات قنينة تل سيران، و هي وعاء برونزي يحمل نقشًا عمونيًا، مرتبطًا بالملك عميناداب. التي تحمل نصًا باللغة العمونية، وهي من الأدلة المهمة على الكتابة العمونية.

لكن أشهر القطع المرتبطة بتاريخ عمون ربما كانت تمثال ملك عموني عثر عليه في قلعة عمان، عليه نقش يذكر شخصاً اسمه يارح عزار ابن زكير

ابن شَنِب و قد اقترح الباحثون أن شَنِب هو نفسه شَنِيبو المذكور في حوليات تغلث فلاسر الثالث لكنهم يصيغونها كتحديد مرجح و ليس حقيقة مطلقة والذي يعطينا تصورًا عن الفن الملكي في المنطقة.

فالعمونيون لم يكونوا مجرد قبائل متنقلة كما قد توحي بعض الروايات القديمة، بل امتلكوا دولةً ومدينةً وملكًا ونظامًا دينيًا واقتصاديًا.

فالنقش لا يخبرنا باسم الملك فقط.

والتمثال لا يخبرنا عن الفن وحده.

بل يمكن أن يكشف عن الملابس، والرموز الدينية، ومكانة الشخص، والأساليب الفنية التي كانت مألوفة في المجتمع.

## العمونيون والتجارة

كان موقع عمون مناسبًا للتجارة فالطرق التي تمر شرق نهر الأردن كانت تربط مناطق بلاد الشام بمناطق أخرى باتجاه الصحراء والجزيرة العربية وكانت القوافل تنقل سلعًا مختلفة، وقد استفادت المدن الواقعة على الطرق من مرور التجار والمسافرين ولم تكن التجارة تعني المال فقط.

مع القوافل كانت تنتقل أيضًا الأخبار والأفكار واللغات والأدوات والأساليب الفنية ولهذا ساهمت التجارة في جعل عمون جزءًا من عالم أوسع بكثير من حدود المملكة.

## مملكة صغيرة أمام قوى كبيرة

لكن موقع عمون نفسه كان سلاحًا ذا حدين فالمملكة استفادت من موقعها التجاري، لكنها كانت أيضًا قريبة من قوى وممالك أخرى وكان عليها أن تتعامل مع الممالك الواقعة غرب نهر الأردن، ودخل العمونيون في

**صراعات مع مملكة إسرائيل، كما ارتبطوا بعلاقات متغيرة مع المؤابيين والأدوميين والآراميين.**

**ومع القوى الآشورية والبابلية التي بدأت تتوسع في بلاد الشام ولم يكن أمام الممالك الصغيرة خيار واحد أحيانًا كانت تقاتل.**

**وأحيانًا تدفع الجزية.**

**وأحيانًا تتحالف.**

**وأحيانًا تغير موقفها عندما يتغير ميزان القوة.**

**وهذا ما سنراه بوضوح عندما تدخل آشور إلى المشهد فالإمبراطورية الآشورية لم تكن تنظر إلى عمون بوصفها مملكة بعيدة كانت تريد إخضاع المنطقة كلها، وتأمين طرقها، وضمان وصول الجزية والموارد وبالنسبة إلى عمون، كان التعامل مع القوة الآشورية مسألة بقاء.**

## عندما وصلت آشور

**مع صعود الإمبراطورية الآشورية، تغيرت طبيعة السياسة في بلاد الشام لم تعد الممالك الصغيرة تتنافس فيما بينها فقط فوقها ظهرت إمبراطورية تمتلك جيشًا ضخمًا ونظامًا إداريًا واسعًا وأصبح على ملوك عمون أن يتعاملوا مع آشور تظهر أسماء ملوك عمونيين في السجلات الآشورية، ومن بينهم بَسَا وبودو- إيلو وغيرهما، في سياقات مرتبطة بالجزية والعلاقات مع الإمبراطورية وكان دفع الجزية يعني اعترافًا بالنفوذ الآشوري، لكنه لم يكن بالضرورة يعني اختفاء المملكة فورًا فكثير من الممالك الصغيرة احتفظت بحكامها المحليين مقابل الخضوع السياسي والاقتصادي للإمبراطورية وهكذا استطاعت عمون أن تستمر، ولو في وضع مختلف عن استقلالها السابق.**

## لكن ماذا كان يحدث داخل المملكة؟

هنا تبدأ صورة مختلفة عن عمون فالمملكة لم تكن مجرد ملك وجيش خلفهما كان هناك مجتمع كامل فلاحون يعملون في الأرض ورعاة ينتقلون بمواشيهم وحرفيون يصنعون الأدوات والأواني وتجار يعبرون الطرق وكتبة يسجلون المعاملات وكهنة يؤدون الطقوس.

وكانت المدن بحاجة إلى تخزين الحبوب والمياه، وإلى حماية السكان، وإلى تنظيم الضرائب والعمل وهذه التفاصيل هي التي تجعلنا نفهم أن المملكة كانت مجتمعًا منظمًا، لا مجرد اسم يظهر في سجلات الحروب.

## الحياة في مملكة عمون

إذا كانت القصور والتحصينات تخبرنا عن السلطة، فإن البيوت والأدوات والمخازن تخبرنا عن الناس ولم تكن حياة سكان عمون متشابهة تمامًا؛ فالملك وأفراد الأسرة الحاكمة والكهنة والتجار والحرفيون والفلاحون والعمال كانوا يعيشون في ظروف مختلفة، لكنهم جميعًا كانوا جزءًا من اقتصاد واحد يعتمد بصورة كبيرة على الأرض والماشية والتجارة.

## البيت العموني

كانت البيوت تُبنى من المواد المتوفرة محليًا، وعلى رأسها الحجر والطين والخشب وكان تصميم المنزل مرتبطًا بطبيعة الحياة اليومية.

ففي المجتمعات الزراعية لم يكن البيت مكانًا للنوم فقط؛ بل كان يمكن أن يحتوي على أماكن لتخزين الحبوب والأدوات، ومساحات للعمل، ومرافق مرتبطة بالحيوانات وكانت الأسرة وحدة أساسية في المجتمع.

تعيش أجيال متقاربة أحيانًا، ويتشارك أفرادها أعمال الزراعة وتربية الحيوانات والحرف المنزلية ولذلك فإن البيت كان في الوقت نفسه مسكنًا ومكانًا للعمل والتخزين.

## الطعام والزراعة

اعتمد اقتصاد عمون بدرجة كبيرة على الزراعة وكانت الحبوب من أهم المحاصيل، إلى جانب زراعة الأشجار والمحاصيل التي تناسب مناخ المنطقة كما شكلت تربية الأغنام والماعز والماشية جزءًا مهمًا من حياة السكان وكانت الزراعة مرتبطة بالمطر بدرجة كبيرة، ولذلك كان نجاح الموسم الزراعي مسألة حياة أو موت بالنسبة إلى كثير من الأسر.

فإذا كان الموسم جيدًا، امتلأت المخازن واستطاع الناس توفير الغذاء وربما بيع الفائض أما إذا جاء الجفاف أو دمرت المحاصيل بالحرب، فإن آثار ذلك كانت تصل سريعًا إلى المجتمع وهذا يفسر أهمية الطقوس الدينية المرتبطة بالخصب والمطر في مجتمعات الشرق القديم.

## الحرفيون

لم تكن المملكة تعتمد على الزراعة وحدها ففي المدن كان هناك حرفيون يصنعون الأواني الفخارية، والأدوات المعدنية، والأسلحة، والحلي، وغيرها من الأشياء الضرورية للحياة اليومية وكان الفخار من أهم المواد التي يعتمد عليها علماء الآثار اليوم فالإناء الذي كان بالنسبة إلى صاحبه شيئًا عاديًا جدًا، أصبح بعد آلاف السنين دليلًا على زمن ومكان وثقافة.

ومن خلال أشكال الفخار وطرق صناعته وانتشاره، يستطيع الباحثون مقارنة المواقع ومعرفة الروابط بينها.

# الملابس والزينة

لم يصلنا عدد كبير من الملابس الأصلية من هذه الفترة بسبب طبيعة المواد القابلة للتلف، لكن التماثيل والنقوش واللقى الأثرية تساعد في تكوين صورة تقريبية عن الملابس والزينة.

وكانت المنسوجات تُصنع من الألياف المتاحة في المنطقة، بينما استخدمت المعادن والأحجار لصناعة الحلي ولم تكن الزينة للنساء فقط.

فالرجال أيضًا استخدموا الحلي والأختام والعناصر الزخرفية التي يمكن أن تعكس المكانة الاجتماعية أو الوظيفة.

# الأختام هوية صغيرة من حجر

ومن القطع المهمة في دراسة المجتمعات القديمة الأختام كان الختم يحمل علامة أو صورة أو كتابة، ويُستخدم لإثبات الملكية أو توثيق المعاملات وقد يكون صغيرًا جدًا بحيث يمكن وضعه في راحة اليد لكن أهميته كبيرة.

فهو يخبرنا أن المجتمع كان يعرف مفهوم الملكية والتوثيق، وأن هناك معاملات تحتاج إلى إثبات، وأن بعض الأشخاص كانوا يمتلكون مكانة أو وظيفة تسمح لهم باستخدام الأختام.

وفي عالم لم تكن فيه الوثائق الورقية موجودة، كان الختم وسيلة عملية لحماية الممتلكات وتوثيق المعاملات.

# عمون والكتابة

لم تكن الكتابة منتشرة بين جميع السكان فمعرفة القراءة والكتابة كانت مرتبطة غالبًا بالكتبة والمؤسسات والسلطة وكان الكاتب شخصية مهمة، لأنه يستطيع تحويل الكلام إلى نص يمكن حفظه ونقله.

والنقوش العمونية التي وصلت إلينا، رغم محدوديتها مقارنة بآثار بعض الحضارات الكبرى، تكشف عن وجود تقليد كتابي محلي.

ومن أشهر القطع المرتبطة بالكتابة العمونية تمثال ملك عموني يحمل كتابة، إلى جانب عدد من النقوش الأخرى التي ساعدت في دراسة اللغة والهوية السياسية للمملكة لكن علينا أن نتذكر أن قلة النصوص لا تعني أن المجتمع لم يكن يعرف الكتابة فمعظم ما كان يكتبه الناس في حياتهم اليومية لم يكن مصنوعًا من الحجر قد يكون على مواد لم تصمد أمام الزمن ولهذا فإن ما وصلنا هو غالبًا الجزء الذي نجا، لا كل ما كُتب.

# الجيش والتحصينات

كانت مملكة عمون بحاجة إلى حماية مدنها وطرقها ولهذا ظهرت التحصينات والأسوار في عدد من المواقع وكانت الحروب في العصر الحديدي جزءًا متكررًا من حياة المنطقة والمدينة المحصنة لم تكن مجرد رمز للقوة كانت وسيلة لحماية السكان والمخازن والمياه والملك.

وكان اختيار موقع المدينة نفسه جزءًا من الدفاع فالمرتفعات تمنح أفضلية في مراقبة الطرق، والمنحدرات تجعل الوصول إلى المدينة أصعب، بينما تسمح الأسوار بإبطاء تقدم المهاجمين وكان الجيش يعتمد على المشاة بدرجة كبيرة، إلى جانب استخدام العربات والخيول في البيئات المناسبة لكن بالنسبة إلى مملكة صغيرة مثل عمون، لم يكن من الممكن منافسة

**الإمبراطوريات الكبرى في القوة العسكرية وحدها ولهذا كانت الدبلوماسية والجزية والتحالفات جزءًا من أدوات البقاء**

## الحرب مع إسرائيل

**كانت العلاقات بين عمون ومملكة إسرائيل من أكثر العلاقات اضطرابًا فالجغرافيا جعلت الطرفين متجاورين، والحدود بين الممالك القديمة لم تكن دائمًا ثابتة كما نعرفها اليوم كانت الأراضي الزراعية والمراعي والطرق التجارية مصادر مهمة للثروة، ولذلك كان النزاع عليها يعني أحيانًا النزاع على بقاء المملكة نفسها.**

**وتذكر الروايات القديمة عددًا من المواجهات بين العمونيين والإسرائيليين، ومن أشهر الشخصيات المرتبطة بهذه الصراعات ناحاش ملك بني عمون.**

**ويظهر ناحاش في الروايات بوصفه ملكًا قويًا حاول توسيع نفوذ عمون، ودخل في مواجهة مع مملكة إسرائيل في بدايات عهدها الملكي وفي المقابل، خاض ملوك إسرائيل حملات ضد العمونيين، ضمن سلسلة من الصراعات التي شهدتها المنطقة خلال العصر الحديدي لكن من المهم أن نتذكر أن هذه الروايات وصلت إلينا أساسًا من مصادر خارجية، ولذلك ينبغي قراءتها إلى جانب الأدلة الأثرية والنقوش، لا باعتبارها الرواية الوحيدة الممكنة.**

## عمون وآشور

**عندما أصبحت آشور القوة المهيمنة في بلاد الشام، وجدت مملكة عمون نفسها أمام واقع سياسي جديد لم تعد المسألة مجرد منافسة بين ممالك متجاورة كانت هناك إمبراطورية قادرة على شن حملات عسكرية واسعة، وترحيل السكان، وفرض الجزية، وإعادة تنظيم المناطق الخاضعة لها.**

وتظهر أسماء ملوك عمونيين في المصادر الآشورية، ومن بين الحكام الذين يُرجَّح ارتباطهم بعمون بعشا بن رحوب، الذي ارتبط اسمه بالملك الآشوري شلمنصر الثالث ضمن قائمة الملوك الذين قدموا الجزية وفي عهد سنحاريب وملوك آشوريين آخرين، استمرت الممالك الصغيرة في بلاد الشام ضمن شبكة التبعية الآشورية وكانت هذه العلاقة معقدة.

وقد شارك هذا الملك العموني مع تحالف بلاد الشام في معركة قرقر سنة ٨٥٣ ق.م ضد شلمنصر الثالث إلا أن تحديد هويته بوصفه ملكًا عمونيًا لا يخلو من خلاف بين الباحثين.

ومن بين الملوك الذين يظهر اسمهم في السجلات الآشورية شنيبو (سانيبو)، الذي ارتبط بعهد الملك الآشوري تغلث فلاسر الثالث.

بعليس، الذي حكم عمون في المرحلة الأخيرة من تاريخ المملكة، وارتبط اسمه بالأحداث التي أعقبت سقوط مملكة يهوذا أمام البابليين، ولا سيما اغتيال جدليا بن أخيقام.

لكن بعلِيس لم يكن أول ملك عموني؛ فقد سبقه ملوك آخرون، وإن كانت المعلومات المتوفرة عن معظمهم محدودة، لأن الوثائق العمونية التي وصلت إلينا قليلة مقارنة بما تركته الإمبراطوريات الكبرى.

فالملك المحلي يبقى على عرشه، لكنه لم يعد يملك حرية كاملة في السياسة الخارجية وعليه أن يدفع الجزية وأن يرسل الموارد وأحيانًا أن يقدم الجنود وفي المقابل، توفر الإمبراطورية نوعًا من الحماية والاستقرار السياسي داخل النظام الآشوري وهكذا استطاعت عمون أن تستمر فترة طويلة بعد أن فقدت جزءًا من استقلالها.

# عندما تغيّر ميزان القوى

لكن الإمبراطوريات نفسها لا تبقى إلى الأبد في أواخر القرن السابع قبل الميلاد بدأت الإمبراطورية الآشورية تنهار تحت ضغط أعدائها وسقطت نينوى سنة ٦١٢ قبل الميلاد، ثم انهار ما تبقى من الدولة الآشورية خلال السنوات التالية وهنا تغير المشهد مرة أخرى انتقلت المنطقة إلى مرحلة جديدة، أصبح فيها البابليون القوة الكبرى ثم جاءت مراحل فارسية وهلنستية أي المتأثر بالثقافة اليونانية ثم الحكم الروماني

وكان الملك البابلي نبوخذ نصر الثاني مصممًا على إخضاع الممالك التي تحاول التخلص من السيطرة البابلية وفي هذه المرحلة يظهر اسم ملك عموني بَعْلِيس وتربطه المصادر القديمة بأحداث سياسية مهمة في المنطقة، وخصوصًا باغتيال جدليا بن أخيقام، الحاكم الذي عينه البابليون على يهوذا بعد سقوط القدس.

وتذكر الرواية أن بعلِيس أرسل إسماعيل بن نثنيا لتنفيذ عملية الاغتيال وبغض النظر عن التفاصيل التي لا يمكن إثباتها جميعًا أثريًا، فإن هذه الرواية تعكس شيئًا مهمًا أن عمون بقيت لاعبًا سياسيًا في المنطقة حتى المراحل الأخيرة من استقلالها.

ومع كل تغير سياسي كانت عمون القديمة تفقد تدريجيًا شكلها كمملكة مستقلة لكن ربّة عمون لم تختفِ وهذه نقطة مهمة جدًا فقد استمرت المدينة كمركز سكاني في العصور التالية، وتغير اسمها وهويتها السياسية مع تغير الحكام وفي العصر الهلنستي أصبحت تعرف باسم فيلادلفيا، ثم أصبحت جزءًا من العالم الروماني وبقي موقع المدينة مأهولًا عبر قرون طويلة ومن هذه الطبقات المتراكمة جاءت المدينة الحديثة عمّان.

# من ربّة عمون إلى عمّان

عندما ننظر اليوم إلى عمّان، يصعب تخيل أنها تحمل تحت شوارعها وبيوتها طبقات من تاريخ يمتد إلى العصر الحديدي لكن المدينة الحديثة لم تبدأ من الصفر.

إنها واحدة من تلك المدن التي استمرت الحياة فيها فوق المكان نفسه أو بالقرب منه، فتراكمت الحضارات فوق بعضها عمونيون ثم يونانيون ثم رومانيون ثم بيزنطيون ثم عصور إسلامية متعاقبة وفي النهاية المدينة الحديثة ولهذا فإن قصة عمّان ليست قصة مدينة واحدة إنها قصة آلاف السنين من الاستمرار والتحول والأجمل أن اسم عمّان نفسه يحمل صدى اسم المملكة القديمة فحتى بعد اختفاء مملكة عمون من الخريطة السياسية، بقي اسمها حيًا بصورة غير مباشرة في اسم المدينة وهنا يظهر مرة أخرى ما تفعله الأرض بالتاريخ قد تسقط المملكة، لكن اسمها قد ينجو.

وقد يختفي الملك، لكن المدينة تبقى وقد تتغير اللغة، لكن بعض الأسماء تستمر عبر القرون.

## ماذا بقي من العمونيين؟

لم يبقَ من عمون قصر ملكي كامل نستطيع أن ندخل إليه اليوم ونتخيل حياة الملك ولم يصلنا أرشيف ضخم يخبرنا بكل تفاصيل المجتمع لكن ما بقي موزع بين النقوش والتماثيل والأختام والمواقع الأثرية والفخار والتحصينات ومن هذه القطع الصغيرة استطاع الباحثون أن يعيدوا رسم صورة شعب لم يكن يملك إمبراطورية ضخمة، لكنه امتلك هوية سياسية وثقافية واضحة وهذا ربما هو أهم ما يتركه العمونيون خلفهم.

**فقد أثبتوا أن المملكة الصغيرة تستطيع أن تعيش قرونًا في منطقة شديدة الاضطراب، وأن تتعامل مع جيرانها، وتبني مدنها، وتطور ثقافتها، وتترك أثرًا يستمر حتى بعد زوالها السياسي لكن عمون لم تكن وحدها شرق نهر الأردن إلى الجنوب، وعلى هضاب تطل على البحر الميت، قامت مملكة أخرى لها قصتها الخاصة. مملكة ارتبط اسمها بإلهها كموش، وبملك استطاع أن يحفر انتصاراته في الحجر موآب.**

# الفصل الثالث

# المؤابيون مملكة كموش ومسلة ميشع

إلى الجنوب من عمون، وعلى الهضاب الشرقية للبحر الميت، قامت مملكة أخرى تركت أثرًا بارزًا في تاريخ بلاد الشام القديمة إنها موآب.

كانت أرضها تمتد في منطقة تجمع بين الهضاب الزراعية من جهة، والمنحدرات الوعرة المطلة على البحر الميت من جهة أخرى، وهي منطقة منحت سكانها إمكانات زراعية جيدة، لكنها جعلتهم أيضًا على تماس دائم مع الطرق والممالك المجاورة.

ومن بين جميع الآثار التي ارتبطت بموآب، بقي حجر واحد هو الأشهر. حجر أسود حمل كلمات ملك موآبي اسمه ميشع.

لكن قبل أن نصل إلى هذا الحجر، علينا أن نتعرف إلى المملكة التي خرج منها.

## أرض موآب

كانت أراضي موآب تقع شرق البحر الميت، وتمتد عبر هضاب ووديان تتفاوت في طبيعتها. وكان هذا التنوع مهمًا بالنسبة إلى السكان.

فالمرتفعات وفرت أراضي مناسبة للزراعة، بينما شكلت الوديان طرقًا طبيعية للحركة، وأتاحت المناطق القريبة من البحر الميت الوصول إلى موارد مختلفة. كما كانت موآب قريبة من طرق تربط جنوب بلاد الشام بمناطق أخرى، ولذلك لم تكن بعيدة عن حركة القوافل والتجارة.

لكن الأرض نفسها كانت تفرض شروطها فالماء لم يكن متوفرًا بالتساوي في جميع المناطق، والزراعة كانت تعتمد بدرجة كبيرة على الأمطار ومصادر المياه المحلية ولهذا كان التحكم في الأراضي الزراعية والمصادر المائية جزءًا أساسيًا من قوة المملكة.

## من مجتمع إلى مملكة

مثل عمون، لم تظهر موآب في لحظة واحدة فقد سبقت المملكة تجمعات سكانية ومستوطنات استقرت في المنطقة خلال فترات طويلة.

ومع تطور المجتمع خلال العصر الحديدي، ظهرت مراكز سياسية أقوى، وبدأت تتشكل سلطة ملكية قادرة على تنظيم الأراضي والسكان والدفاع عن المملكة وكانت ذيبان من أهم المراكز المرتبطة بموآب.

ومن هذه المنطقة تحديدًا سيخرج لاحقًا أحد أهم الأدلة المباشرة على تاريخ المملكة لكن موآب لم تكن مجرد مدينة واحدة كانت مجموعة من المستوطنات والقرى والمراكز التي ارتبطت بالسلطة المركزية، وشارك سكانها في الزراعة وتربية الحيوانات والحرف والتجارة.

## الزراعة أساس الحياة

كان الاقتصاد الزراعي من أهم دعائم المملكة وزرع السكان الحبوب، إلى جانب محاصيل أخرى تناسب طبيعة المنطقة كما كانت تربية الأغنام والماعز جزءًا أساسيًا من الاقتصاد.

وكانت الثروة الحيوانية مهمة ليس فقط للحصول على الغذاء، بل أيضًا للحصول على الصوف والجلود، وللتبادل التجاري أما الفائض الزراعي، فكان يمكن تخزينه أو استخدامه في التجارة وهنا تظهر أهمية الدولة.

**فالملك لم يكن يحتاج إلى الجيش فقط كان يحتاج إلى إدارة قادرة على جمع الموارد، وتخزينها، وإعادة توزيعها، وتمويل الجيش والمشروعات العامة ولهذا فإن بناء المملكة كان مرتبطًا بالاقتصاد مثلما كان مرتبطًا بالحرب.**

## كموش إله موآب

**كان الدين جزءًا أساسيًا من هوية موآب، وكان كموش الإله القومي الأبرز للمملكة وتظهر مكانته بوضوح في النقوش المؤابية، وخصوصًا في مسلة ميشع فالملك لم يكن يقدم نفسه باعتباره صاحب الانتصار وحده كان ينسب النصر إلى كموش.**

**وعندما يتحدث عن استعادة الأراضي أو بناء المدن، يظهر الإله في قلب الرواية وهذا يعكس طبيعة الفكر السياسي في الشرق القديم فالمملكة لم تكن منفصلة عن الدين والملك كان يرى نفسه مرتبطًا بالإله، والانتصار العسكري يمكن أن يُفهم بوصفه انتصارًا للإله أيضًا ولهذا كانت الحرب في بعض النصوص القديمة تحمل معنى دينيًا إلى جانب معناها السياسي.**

## ميشع الملك الذي تكلم بالحجر

**ثم ظهر في تاريخ موآب ملك سيصبح أشهر ملوكها ميشع لا نعرف كل تفاصيل حياته، لكننا نعرف أنه حكم موآب في القرن التاسع قبل الميلاد، وأنه واجه نفوذ مملكة إسرائيل.**

**وكانت موآب في تلك الفترة جزءًا من شبكة سياسية معقدة تضم إسرائيل وعمون وأدوم وممالك أخرى، إلى جانب القوى الكبرى التي كانت تتوسع في المنطقة لكن ما جعل ميشع استثنائيًا ليس فقط ما فعله في الحرب بل أنه ترك روايته مكتوبة وهنا تبدأ واحدة من أهم قصص الآثار في بلاد الشام.**

# مسلة ميشع

كانت المسلة حجرًا من البازلت، نُقشت عليه كتابة باللغة المؤابية باستخدام الأبجدية القديمة الفينيقية أو الكنعانية القديمة و هي محفوظة اليوم في متحف اللوفر وتتكون الكتابة من أربعة وثلاثين سطرًا تقريبًا، وهي من أهم النصوص الملكية التي وصلت إلينا من بلاد الشام في العصر الحديدي.
وتروي المسلة أعمال ميشع وانتصاراته، وتربط نجاحاته بالإله كموش.
كما تتحدث عن المدن والأراضي التي عمل على استعادتها أو السيطرة عليها، وعن مشروعات عمرانية قام بها وهنا يصبح الحجر أكثر من أثر إنه صوت ملك موآبي يتحدث عن نفسه وعن مملكته.

رغم أن آخر أسطر من المسلة متضررة ومفقودة جزئياً لكن هذا النص الموجود تقريباً

١. أنا ميشع، ابن كموش...، ملك موآب، الديبوني.

٢. أبي ملك على موآب ثلاثين سنة، وأنا ملكت بعد أبي.

٣. وأقمت هذا المرتفع المقدس لكموش في قَرْحَة، [مرتفع] الخلاص...

٤. لأنه خلصني من جميع الملوك، وجعلني أرى جميع أعدائي.

٥. كان عمري ملك إسرائيل، واضطهد موآب أيامًا كثيرة، لأن كموش غضب على أرضه.

٦. وخلفه ابنه، وقال هو أيضًا: «سأضطهد موآب». وفي أيامي قال ذلك...

٧. لكنني تغلبت عليه وعلى بيته، وهلك إسرائيل هلاكًا أبديًا. وكان عمري قد استولى على أ[رض]...

٨. ميدبا، وأقام فيها أيامه ونصف أيام ابنه، أربعين سنة، لكن كموش...

٩. استعادها في أيامي. وبنيت بعل معون، وأقمت فيها خزانًا للمياه، وبنيت

١٠. قريتايم. وكان رجال جاد يقيمون في أرض عطاروت منذ القديم، وقد بنى ملك إسرائيل عطاروت لنفسه.

١١. فحاربت المدينة واستوليت عليها، وقتلت جميع أهل المدينة...

١٢. ..المدينة، من أجل كموش وموآب، وأخذت من هناك مذبح/موقد دوده

١٣. وسحبته أمام كموش في قريوت، وأسكنت فيها رجال شارون ورجال..

١٤. محَرَت. وقال لي كموش: «اذهب، خذ نبو من إسرائيل».

١٥. فذهبت ليلًا، وحاربتها من بزوغ الفجر حتى الظهر.

١٦. وأخذتها وقتلت الجميع: سبعة آلاف رجل و... ونساء...

١٧. وفتيات و...، لأنني كرستها للتحريم من أجل عشتار- كموش، وأخذت من هناك...

١٨. أوعية/أدوات يهوه، وسحبتها أمام كموش. وكان ملك إسرائيل قد بنى

١٩. يَهَص، وأقام فيها عندما حاربني، لكن كموش طرده من أمامي.

٢٠. وأخذت من موآب مئتي رجل، جميع قادتها، وأسكنتهم في يَهَص، واستوليت عليها...

٢١. لأضمها إلى ديبون. وبنيت قَرْحَة، سور الحدائق وسور القلعة...

٢٢. وبنيت أبوابها، وبنيت أبراجها...

٢٣. وبنيت قصر الملك، وأقمت حواجز لخزان المياه داخل...

٢٤. المدينة. ولم يكن هناك خزان داخل المدينة، في قَرْحَة، فقلت لجميع الناس: «ليصنع كل واحد...

٢٥. ...خزانًا في بيته». وحفرت الخنادق حول قَرْحَة بأسرى...

٢٦. إسرائيل. وبنيت عروعير، وأقمت الطريق على نهر أرنون.

٢٧. وبنيت بيت- باموت لأنها كانت مهدمة، وبنيت بصير لأنها كانت خرابًا

٢٨. ... ورجال ديبون خمسون... لأن كل ديبون كان خاضعًا، وأنا ملكت...

٢٩. ... مئة [مدينة؟] أضفتها إلى الأرض، وبنيت...

٣٠. [وبنيت معبد] ميدبا، وبيت دبلتاين، وبيت بعل معون، وأقمت هناك...

٣١. ... من غنم الأرض، وكان حورونين، وقد أقام فيها [بيت دا]ود...

٣٢. ... وقال لي كموش: «انزل، وحارب حورونين». فنزلت...

٣٣. ... وحاربتها، واستوليت عليها، وأعاد كموش [امتلاكها] في أيامي، ومن هناك...

٣٤. ... [النص مفقود إلى حد كبير].

## اكتشاف المسلة

لم تكن المسلة معروفة للعالم الحديث حتى القرن التاسع عشر.

اكتشفها كلين فريدريك أوغسطس كلاين ( Frederick Augustus Klein)، وهو مبشر ألماني/ألساسي كان يعمل في القدس. هذا تؤكده مصادر متحفية وأكاديمية، منها متحف سميثسونيان وكلية فرنسا. في منطقة ذيبان سنة ١٨٦٨، ثم اهتم بها عدد من الباحثين والمبشرين والبعثات الأوروبية.

وكانت المسلة في حالة جيدة نسبيًا، لكن ما حدث بعدها جعل قصتها أكثر إثارة فقد أدرك السكان المحليون أن الحجر يجذب اهتمام الأوروبيين، وبدأت المفاوضات حول الحصول عليه ثم أُلحقت المسلة بأضرار كبيرة، وقُطعت إلى أجزاء.

لكن أجزاء مهمة منها نجت، واستطاع الباحثون إعادة تركيب النص اعتمادًا على النسخ والانطباعات التي أُخذت قبل تضرر الحجر وأصبح جزء كبير من المسلة محفوظًا اليوم في متحف اللوفر.

وهكذا كاد أحد أهم النصوص الأصلية من تاريخ موآب أن يضيع، لكنه نجا بصورة جزئية وأصبح مصدرًا أساسيًا لدراسة المملكة.

وبذلك تجمع المسلة بين ثلاثة عناصر: السياسة، والحرب، والدين.

## عمري وموآب

من أهم الشخصيات التي تظهر في المسلة الملك عمري، ملك مملكة إسرائيل وهذه الإشارة ذات أهمية كبيرة، لأنها تقدم لنا مصدرًا خارج الرواية الكتابية يذكر عمري وعلاقته بموآب.

ويبدو من نص المسلة أن موآب كانت قد خضعت لفترة لنفوذ إسرائيل، وأن ميشع رأى نفسه محررًا لأراضيها ثم جاءت مرحلة المواجهة وهكذا تتحول العلاقة بين المملكتين من الخضوع والجزية إلى التمرد والحرب لكن الرواية التي يقدمها ميشع ليست الرواية الوحيدة.

فهناك روايات أخرى عن الصراع نفسه، ولهذا يستطيع الباحث أن يقارن بين المصادر بدل الاعتماد على نص واحد. وهذه من أجمل الأشياء في دراسة التاريخ القديم أحيانًا لا نبحث عن رواية واحدة صحيحة، بل نقارن أصواتًا مختلفة حتى نقترب من الحدث.

# روايتان لحرب واحدة

**تمنحنا قصة الصراع بين موآب وإسرائيل فرصة نادرة لرؤية الحدث التاريخي من زاويتين مختلفتين؛ فمسلة ميشع تروي الأحداث من منظور الملك الموآبي، بينما يقدم سفر الملوك الثاني رواية من الجانب الإسرائيلي. ووفق الرواية الإسرائيلية، كان ميشع يؤدي الجزية للملك الإسرائيلي، ثم تمرد بعد وفاة آخاب، فخرج يورام بن آخاب لمحاربته، وتحالف معه يهوشافاط ملك يهوذا وملك أدوم. اتجه الحلفاء إلى موآب، ودارت بينهم معارك عنيفة، وتذكر الرواية أنهم ألحقوا أضرارًا كبيرة بمدن الموآبيين وأراضيهم. وفي نهاية الحملة، وبعد أن اشتد الضغط على ميشع، قدّم ابنه البكر قربانًا على سور المدينة، ثم انسحب الجيش المتحالف وانتهت الحملة.**

**أما مسلة ميشع، فتقدم الصورة من الجانب الآخر؛ إذ يصور ميشع نفسه ملكًا نصره الإله كموش، ويصف استعادته للمدن والأراضي التي كانت خاضعة لإسرائيل، ويعرض انتصاراته بوصفها نتيجة مباشرة لمساندة كموش له. وهكذا لا نملك رواية واحدة للحرب، بل روايتين متباينتين: رواية إسرائيلية تركز على حملة عسكرية ناجحة انتهت بانسحاب، ورواية موآبية تجعل من ميشع محررًا لأرضه ومن كموش صاحب الفضل في انتصاراته. ولا يعني اختلاف الروايتين أن إحداهما يجب أن تُرفض بالكامل؛ بل إن مقارنتهما تكشف لنا كيف كان كل طرف ينظر إلى الصراع ويقدم أحداثه من موقعه ومصلحته، وتمنحنا صورة أكثر ثراءً عن تاريخ موآب وعلاقتها بإسرائيل.**

# مدن أعاد ميشع بناءها

لم يكن ميشع ملكًا محاربًا فقط تذكر المسلة أيضًا أعمالًا عمرانية قام بها في المملكة وهذا جانب مهم جدًا لأن الملوك كانوا يحتاجون إلى بناء المدن وحمايتها، وليس فقط إلى خوض الحروب.

فبناء السدود أو الخزانات أو التحصينات أو المباني العامة كان وسيلة لتقوية المملكة والملك الذي يستطيع توفير المياه وحماية الطرق وإعادة بناء المدن يثبت سلطته بطريقة لا تحققها الحرب وحدها.

ولهذا فإن مسلة ميشع تعطينا صورة عن ملك يبني بقدر ما يحارب.

# اللغة المؤابية

ومن أهم قيمة المسلة أنها كتبت باللغة المؤابية. واللغة المؤابية قريبة جدًا من اللغات السامية الأخرى في بلاد الشام، ولذلك ساعد النص على دراسة التطور اللغوي في المنطقة.

وتشابه الخط المؤابي مع الخطوط المستخدمة في مناطق مجاورة، وهذا يعكس العالم الكتابي المشترك الذي نشأ في بلاد الشام.

لم تكن الكتابة العمونية والمؤابية والأدومية واللغات الكنعانية أنظمة منفصلة تمامًا بل كانت بينها روابط واضحة وكانت الأبجدية القديمة تسمح بكتابة لغات متقاربة، مع اختلافات محلية في المفردات والنحو والنطق.

وهكذا فإن المسلة ليست وثيقة سياسية فقط إنها أيضًا وثيقة لغوية.

# موآب خارج المسلة

قد يكون من السهل أن نختصر موآب كلها في مسلة ميشع لكن هذا سيكون ظلمًا للمملكة فالمسلة مهمة جدًا، لكنها ليست كل شيء هناك مواقع أثرية ولقى فخارية وأختام ونقوش أخرى تساعد في فهم الحياة الموآبية ومن خلالها نستطيع أن نرى مجتمعًا يعتمد على الزراعة والرعي والتجارة، ويعيش في قرى ومدن مرتبطة بسلطة مركزية كما تظهر التحصينات والمنشآت التي تعكس الحاجة إلى حماية المملكة من الهجمات وكانت موآب، مثل جيرانها، تعيش في عالم تتغير فيه التحالفات بسرعة فاليوم قد يكون الجار حليفًا وغدًا يصبح خصمًا وبعد سنوات قد يصبح الاثنان تابعين لإمبراطورية أكبر وهذا ما سيحدث بالفعل عندما تتوسع آشور.

# موآب وآشور

في القرن الثامن قبل الميلاد، بدأت آشور تفرض نفوذها بصورة متزايدة على بلاد الشام وأصبحت الممالك الصغيرة أمام خيار صعب:

المقاومة، أو الخضوع، أو محاولة المناورة بين القوى الكبرى.

ومع تقدم آشور، دخلت موآب ضمن نظام الجزية الآشوري وتظهر أسماء ملوك موآبيين في السجلات الآشورية، ومن بينهم كموش ناداب ومُسوري وسالمانو وغيرهم في سياقات مرتبطة بالعلاقات مع الإمبراطورية الآشورية في عهد تغلث فلاسر الثالث.

وكان دفع الجزية يعني أن المملكة ما زالت تملك حاكمًا محليًا، لكنها أصبحت جزءًا من النظام السياسي الذي تقوده آشور وهكذا بدأت موآب تفقد جزءًا من استقلالها، لكنها لم تختفِ مباشرة بل استمرت الحياة فيها،

واستمر سكانها في الزراعة والتجارة، واستمر ملوكها المحليون في إدارة شؤون المملكة ضمن حدود فرضتها القوة الآشورية.

## الحياة في موآب

وراء الملوك والحروب كانت هناك حياة يومية كاملة كان الفلاح يخرج إلى حقله، والرعاة يقودون قطعانهم، والنساء والرجال يعملون في تجهيز الطعام والنسيج والأعمال المنزلية، والحرفيون يصنعون الأدوات والأواني وكانت الأسرة أساس المجتمع.

أما المدن فكانت تجمع بين السكن والإدارة والتخزين والحرف والعبادة. وكانت الحبوب تُخزن لمواجهة السنوات الصعبة، لأن المجتمعات الزراعية لم تكن تستطيع الاعتماد على محصول واحد وكانت الحيوانات مصدرًا للغذاء والمواد الخام، كما استخدمت في النقل والعمل.

وعلى الطرق كانت تتحرك القوافل، تحمل السلع من منطقة إلى أخرى وبهذا لم تكن موآب عالمًا من القلاع والجنود فقط.

من أبرز المواقع المحصنة المرتبطة بموآب

ذيبان (Dhiban) عاصمة موآب القديمة، وكانت فيها تحصينات ومنشآت دفاعية.

مَكْدَبا / ميدبا (Madaba) مدينة مهمة ومحاطة بتحصينات.

الكرَك (Karak) موقع استراتيجي محصن في منطقة موآب، وإن كانت شهرته الكبرى بالتحصين تعود إلى عصور لاحقة.

خربة المديّنة (Khirbat al-Mudayna) موقع محصن مهم على وادي الموجب، وله منشآت دفاعية تعود إلى العصر الحديدي.

**كانت موآب مجتمعًا يعيش وينتج ويأكل ويتاجر ويعبد ويحتفل ويخاف من الحرب والجفاف.**

## ماذا بقي من موآب؟

**ربما أكثر ما يميز موآب أنها تركت لنا شيئًا نادرًا جدًا صوتًا محليًا مباشرًا.**

**في كثير من الأحيان نعرف الشعوب القديمة من خلال سجلات جيرانها الأقوى لكن مسلة ميشع سمحت لنا بأن نسمع ملكًا موآبيًا يتحدث عن نفسه قد نختلف مع روايته وقد نكتشف أنها تعظم انتصاراته لكنها تبقى روايته.**

**ولهذا فإن ميشع لم يعد مجرد اسم في تاريخ موآب لقد أصبح صوتًا خرج من حجر، وظل مسموعًا بعد آلاف السنين.**

**وإذا كانت الأرض قد حفظت لنا صوت ميشع، فإنها احتفظت أيضًا بأدلة أخرى عن المملكة، من المدن والحقول والبيوت واللقى الصغيرة التي تساعدنا على فهم الناس الذين عاشوا فيها.**

**لكن جنوب موآب كان يقودنا إلى أرض مختلفة في طبيعتها وثرواتها.**

**أرض الجبال والصحراء، حيث كان النحاس يُستخرج من باطن الأرض، وحيث كانت طرق التجارة تمر بين الجنوب وبلاد الشام هناك قامت مملكة أخرى أدوم.**

# الفصل الرابع

## الأدوميون مملكة النحاس وطرق التجارة

**إلى الجنوب من موآب، وعلى امتداد المنطقة الجبلية الواقعة جنوب البحر الميت، ظهرت مملكة أدوم.**

**كانت أرض الأدوميين مختلفة عن الأراضي التي عرفناها في عمون وموآب فهنا تلتقي الجبال الوعرة بالمناطق الصحراوية، وتفتح الممرات الجبلية طريقًا نحو الجنوب، بينما توجد في باطن الأرض ثروات معدنية جعلت المنطقة ذات أهمية اقتصادية منذ عصور مبكرة.**

**تختلف الدراسات حول بداية تشكل مملكة أدوم، لكن الأدلة الأثرية تؤكد وجود نشاط تعديني وتنظيم اجتماعي متقدم في المنطقة منذ العصر الحديدي المبكر ولم يكن النحاس وحده هو ما منح أدوم أهميتها.**

**فموقعها جعلها جزءًا من طرق تربط بلاد الشام بشبه الجزيرة العربية ومناطق الجنوب، ولذلك ارتبط تاريخها بالتعدين والتجارة والسيطرة على الطرق لكن الأدوميين، مثل جيرانهم، لم يعيشوا في أرض معزولة.**

**كانت حولهم موآب من الشمال، ومناطق يهودا إلى الشمال الغربي، ومجتمعات صحراوية إلى الجنوب والشرق وهكذا أصبحت أدوم جزءًا من شبكة سياسية واقتصادية واسعة.**

# من أين جاء الأدوميون؟

مثل العمونيين والمؤابيين، لا نستطيع تحديد لحظة واحدة ظهرت فيها مملكة أدوم فالمجتمعات التي عاشت في المنطقة سبقت المملكة بقرون طويلة ومع تطور الاستقرار والزراعة والتعدين والتجارة، ظهرت مراكز أكثر تنظيمًا، ثم بدأت تتشكل سلطة سياسية مركزية.

ويرتبط ظهور أدوم ككيان سياسي واضح بصورة خاصة بالعصر الحديدي. وقد أثارت الأدلة الأثرية نقاشًا طويلًا حول موعد تشكل المملكة ومدى قوة مؤسساتها في مراحلها المبكرة وهذا مهم، لأن بعض الروايات القديمة تصور الممالك وكأنها ظهرت فجأة، بينما تكشف الآثار عادة عن عملية تدريجية قرى صغيرة، ثم تجمعات أكبر، ثم مراكز إدارية، ثم سلطة ملكية.

# أرض الجبال والصحراء

كانت جغرافيا أدوم من أهم عناصر تاريخها فالمنطقة الجبلية توفر مواقع دفاعية جيدة، لكنها تجعل الزراعة أصعب من السهول الخصبة ولهذا كان الأدوميون بحاجة إلى استغلال كل مورد ممكن.

زرعوا في المناطق المناسبة، وربوا الأغنام والماعز، واستفادوا من الوديان، لكنهم اعتمدوا أيضًا على الموارد المعدنية والتجارة وكان النحاس من أهم هذه الموارد.

# النحاس ثروة خرجت من باطن الأرض

من أشهر المناطق المرتبطة بالتعدين في جنوب بلاد الشام فَيْنان، وهي منطقة غنية بخامات النحاس وقد كشفت الحفريات عن أدلة على استخراج النحاس وصهره في فترات مختلفة من تاريخ المنطقة.

وكان استخراج النحاس عملية تحتاج إلى خبرة فالعاملون كانوا يستخرجون الخام من المناجم، ثم ينقلونه إلى أماكن المعالجة، حيث يُسخن ويُصهر لفصل المعدن عن الصخور وكانت هذه العملية تحتاج إلى وقود بكميات كبيرة، وإلى أفران وأدوات وعمال متخصصين وهذا يعني أن التعدين لم يكن نشاطًا فرديًا بسيطًا كان يحتاج إلى تنظيم للعمل والموارد والنقل ولهذا أصبح النحاس جزءًا من الاقتصاد والسياسة.

فمن يسيطر على مناطق التعدين يستطيع أن يحصل على معدن مهم لصناعة الأدوات والأسلحة والأغراض المختلفة.

## فَيْنان مدينة من نار النحاس

لم يكن النحاس في جنوب الأردن مجرد مورد طبيعي ينتظر من يكتشفه. ففي منطقة فَيْنان تطورت شبكة واسعة من المناجم ومواقع التعدين والصهر، وأصبحت المنطقة واحدة من أهم مراكز إنتاج النحاس في جنوب بلاد الشام ومن أبرز هذه المواقع خِربة النحاس، التي كشفت الحفريات فيها عن مساحة صناعية واسعة، تضم عددًا كبيرًا من المنشآت المرتبطة بإنتاج النحاس.

وقد أظهرت الدراسات الحديثة أن الموقع كان من أكبر مراكز صهر النحاس في المنطقة خلال العصر الحديدي، وأن النشاط الصناعي لم يكن مقتصرًا على فرن واحد أو مجموعة صغيرة من العمال، بل كان جزءًا من منظومة إنتاج واسعة وتكشف بقايا الأفران والخبث ومخلفات الإنتاج عن حجم العمل الذي كان يجري هناك.

فالخبث، وهو المادة المتبقية بعد فصل المعدن عن الخام، تراكم بكميات ضخمة حتى أصبح شاهدًا على حجم الصناعة.

وفي بعض الدراسات قُدرت مخلفات الصهر في منطقة فَيْنان خلال العصر الحديدي بمئات آلاف الأطنان، وهو رقم يكشف مدى اتساع النشاط المعدني في تلك المرحلة لكن النحاس لم يكن يظهر جاهزًا.

كان يجب استخراج الخام من الأرض، ثم تكسيره، ثم تسخينه في أفران بدرجات حرارة مرتفعة، وبعد ذلك فصل المعدن عن الشوائب وهذا يعني وجود مجتمع يمتلك معرفة تقنية وتنظيمًا للعمل.

ولهذا فإن دراسة مناجم أدوم لا تخبرنا فقط عن التعدين إنها تخبرنا عن الاقتصاد والسياسة والتجارة والتكنولوجيا في المملكة.

## خِربة الجارية توسع الصناعة

ولم تكن خِربة النحاس الموقع الوحيد فقد كشفت الحفريات في خِربة الجارية، الواقعة على مسافة قصيرة من خِربة النحاس، عن منشآت أخرى مرتبطة بإنتاج النحاس وتشير نتائج الحفريات والدراسات إلى أن خِربة الجارية أصبحت مركزًا مهمًا ضمن المشهد الصناعي لفَيْنان خلال العصر الحديدي المبكر، وأنها كانت جزءًا من توسع صناعة النحاس في المنطقة.

ففي منطقة وادي عربة أيضاً، إلى الجنوب من البحر الميت، توجد رواسب غنية بالنحاس، واستُخدمت هذه الموارد منذ عصور قديمة جدًا.

وهذا يجعل فَيْنان أكثر من مجرد منطقة مناجم لقد كانت إقليمًا صناعيًا متكاملًا، تتوزع فيها المناجم ومراكز الصهر والمساكن والمنشآت المرتبطة بالإنتاج ومن هنا يمكننا أن نفهم لماذا كانت المنطقة ذات قيمة سياسية واقتصادية كبيرة.

# هل كان النحاس أدوميًا منذ البداية؟

هنا يجب أن نكون دقيقين فمنطقة فَيْنان لم تكن مرتبطة بالأدوميين طوال تاريخها، إذ بدأ استغلال النحاس فيها قبل ظهور مملكة أدوم بوقت طويل. لكن التعدين استمر وتطور في فترات لاحقة، وأصبح جزءًا من اقتصاد المنطقة خلال العصر الحديدي.

وتشير الدراسات الأثرية الحديثة إلى وجود نشاط معدني واسع في المنطقة خلال فترات مرتبطة بالأدوميين، مع اختلاف حجم الإنتاج من مرحلة إلى أخرى وهذا يجعلنا أمام صورة أكثر تعقيدًا من فكرة الأدوميين اكتشفوا النحاس فالنحاس كان معروفًا قبلهم.

لكن الأدوميين ورثوا منطقة تمتلك خبرة طويلة في التعدين، واستفادوا منها ضمن اقتصاد مملكتهم.

لكن هل كان هذا كله «مملكة أدوم»؟ سؤال لم يحسمه علماء الآثار

رغم قوة الأدلة على النشاط المعدني في فَيْنان خلال العصر الحديدي، فإن ربط كل مرحلة من مراحل هذا النشاط مباشرةً بـ«مملكة أدوم» يحتاج إلى حذر.

فالدراسات الأثرية تختلف في تفسير متى ظهرت المملكة الأدومية بوصفها دولة منظمة، وكيف تطورت السلطة السياسية في المنطقة وتشير بعض الأدلة إلى وجود نشاط واستيطان وإنتاج نحاسي قبل اكتمال الدولة الأدومية بالشكل الذي نعرفه من المصادر التاريخية، بينما تركز دراسات أخرى على التطور السريع للمجتمع المعقد خلال القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد.

ولهذا لا ينبغي أن نقول إن الأدوميين «اكتشفوا النحاس» أو إن كل نشاط التعدين في فَيْنان كان أدوميًا منذ بدايته.

الأدق أن نقول إنهم ظهروا في منطقة تمتلك تاريخًا طويلًا من التعدين، ثم أصبح التعدين عنصرًا مهمًا في الاقتصاد والسياسة خلال تطور مملكة أدوم وهذه الدقة لا تقلل من أهمية أدوم بل تجعل قصتها أكثر إثارة.

لأننا لا نرى مملكة تظهر من العدم، وإنما نرى مجتمعًا يتطور تدريجيًا حول الأرض، والماء، والمعدن، والتجارة، والسلطة.

## الحرفيون خلف المعدن

عندما نتحدث عن النحاس، قد نتخيل المناجم فقط لكن وراء كل قطعة معدن كانت هناك سلسلة كاملة من العمل عامل يستخرج الخام وآخر ينقله وآخر يشرف على الفرن وآخر يعالج المعدن ثم حرفي يصنع منه أداة أو سلاحًا.

وكان لا بد من توفير الخشب أو الوقود للأفران، والماء والطعام للعمال، وتنظيم حركة المواد أي أن التعدين خلق مجتمعًا من العمال والحرفيين والإداريين وقد ساهم هذا النشاط في نمو بعض التجمعات السكانية في المنطقة.

## التجارة طريق آخر للثروة

لم يكن الأدوميون يعتمدون على النحاس وحده فموقع المملكة جعلها قريبة من طرق تجارية مهمة كانت القوافل تتحرك بين الجنوب وبلاد الشام، وتحمل سلعًا مختلفة، بعضها يأتي من شبه الجزيرة العربية ومناطق أبعد ومن أهم السلع التي ارتبطت بتجارة الجنوب البخور والتوابل والمواد العطرية وكانت هذه السلع ذات قيمة عالية في العالم القديم، لأنها استخدمت في الطقوس الدينية والعطور والطب وبعض الاستخدامات اليومية وكانت السيطرة على الطرق تعني إمكانية فرض رسوم أو حماية القوافل أو الاستفادة من حركة التجارة ولهذا أصبحت الجغرافيا مصدرًا للقوة.

# الأدوميون والطرق الصحراوية

لم تكن القوافل تستطيع عبور الصحراء بصورة عشوائية كانت تحتاج إلى معرفة الآبار ومصادر المياه والممرات الآمنة وكانت الجماعات التي تعرف الصحراء وتسيطر على نقاطها المهمة تمتلك ميزة اقتصادية وسياسية.

وهنا تظهر أهمية الأدوميين فهم كانوا يعيشون عند نقطة التقاء عالمين: بلاد الشام من الشمال، والطرق المؤدية إلى جنوب الجزيرة العربية من الجنوب ولذلك كانت المملكة جزءًا من شبكة أوسع من حدودها.

## بُصيرة مركز أدومي مهم

من المواقع المهمة في دراسة أدوم بُصيرة، التي تقع في جنوب الأردن. وتشير الآثار إلى أنها كانت مركزًا مهمًا في المملكة، وظهرت فيها مبانٍ ومنشآت إدارية وحرفية تدل على وجود تنظيم سياسي واقتصادي.

وقد ساعد الموقع في إعادة بناء صورة أدوم باعتبارها مملكة منظمة، وليست مجرد جماعات قبلية متنقلة كما كان يُعتقد أحيانًا في الدراسات القديمة فوجود مبانٍ إدارية ومنشآت إنتاجية يدل على وجود سلطة قادرة على تنظيم العمل وجمع الموارد وإدارتها.

## بُصيرة والمدينة الملكية

كانت المدينة مركزًا مهمًا للسلطة، ومن المرجح أن الإدارة الملكية كانت تشرف منها على مناطق واسعة وكانت المباني الكبيرة تختلف عن البيوت العادية، وهو ما يعكس وجود تفاوت اجتماعي فالملك وحاشيته وكبار الموظفين والكهنة كانوا يتمتعون بمكانة أعلى، بينما كان غالب السكان يعملون في الزراعة والرعي والحرف والتعدين.

وهذا التفاوت لم يكن خاصًا بأدوم كان سمة واضحة في معظم الممالك القديمة.

## لغة الأدوميين

كانت اللغة الأدومية لغة سامية قديمة، وكانت قريبة من اللغات المستخدمة في عمون وموآب ومناطق بلاد الشام الأخرى وتستخدم النصوص الأدومية الأبجدية القديمة التي تشترك في جذورها مع تقاليد الكتابة في المنطقة.

لكن الأدلة المكتوبة من أدوم أقل بكثير من الأدلة التي وصلتنا من بعض الحضارات الكبرى ولهذا لا نعرف اللغة الأدومية بالتفصيل الذي نعرف به الأكادية أو العبرية القديمة ومع ذلك فإن النقوش والأسماء والكتابات القصيرة تسمح للباحثين بدراسة خصائصها ومقارنتها باللغات المجاورة.

## قَوس إله أدوم

كان للأدوميين إله قومي ارتبط باسم قَوس ويظهر اسم قَوس في أسماء أشخاص وملوك أدوميين، كما يظهر في المصادر التي تتحدث عن المنطقة وكان هذا الإله بالنسبة إلى الأدوميين شبيهًا من حيث الوظيفة بالآلهة القومية عند الشعوب المجاورة.

فكموش كان مرتبطًا بموآب.

ومَلْكَم بعمون.

وقَوس بأدوم.

وهذا التشابه يكشف عالمًا دينيًا مشتركًا، رغم اختلاف الآلهة والأسماء وكان الدين جزءًا من هوية المملكة فاسم الإله قد يدخل في اسم الملك، والانتصار السياسي يمكن أن يُنسب إلى حمايته.

# الحياة اليومية في أدوم

وراء المناجم والقصور كانت هناك حياة بسيطة يعيشها غالب السكان في القرى الزراعية كانت الأسر تزرع ما تستطيع زراعته، وتربي الحيوانات، وتخزن الحبوب.

وكانت الحيوانات تستخدم في بعض الأعمال الزراعية، كما كانت الأدوات المعدنية والخشبية تساعد في الحراثة والحصاد.

وفي نهاية الموسم يأتي الحصاد، وهي فترة مهمة جدًا للعائلة والمجتمع.

فالمحصول لا يعني الطعام فقط، بل يعني أيضًا الضرائب والتجارة والبذور للموسم القادم ولهذا كانت سنوات الجفاف أو الفيضانات أو الآفات قادرة على تغيير حياة مجتمع كامل.

وفي المناطق التعدينية كان العمال يقضون وقتًا طويلًا في استخراج الخام ومعالجته.

أما التجار فكانوا ينتقلون بين المدن والطرق.

وكانت النساء يشاركن في أعمال الزراعة المنزلية، وتجهيز الطعام، صناعة المنسوجات وغيرها من الأعمال التي كانت ضرورية لبقاء الأسرة.

وكان الأطفال ينشؤون داخل هذا العالم ويتعلمون العمل من أسرهم لم تكن هناك مدارس بالمعنى الحديث لمعظم السكان وكانت مهارات الحياة تنتقل غالبًا من جيل إلى جيل.

أما الكتابة، فكانت مرتبطة بصورة أكبر بالطبقات التي تحتاج إليها في الإدارة والدين والتجارة.

## بيوت الأدوميين

تظهر المواقع الأثرية بيوتًا ومنشآت مختلفة الأحجام وكان الحجر مادة أساسية بسبب توفره في المنطقة وتكشف البقايا عن غرف للتخزين والعمل والسكن وكانت الجرار الفخارية ضرورية لحفظ الماء والحبوب والزيوت والمواد الأخرى وفي أرض قاسية مثل أدوم، كان تخزين الماء والطعام مسألة أساسية فالحياة لا تعتمد على توفر الموارد فقط، بل على القدرة على الاحتفاظ بها للوقت الذي تحتاج إليه ولم تكن عملية حفظ الطعام سهلة في عالم لا توجد فيه ثلاجات لذلك كان الناس يعتمدون على التجفيف والتمليح والتخزين في أوعية ومخازن مناسبة.

## العمال الذين أطعموا صناعة النحاس

لم تكن صناعة النحاس ممكنة من دون مجتمع قادر على إعالة العاملين فيها فالعامل الذي يقضي ساعات طويلة قرب الأفران يحتاج إلى الطعام والماء، ومواقع العمل تحتاج إلى أشخاص ينقلون المواد ويوفرون الوقود ويصنعون الأدوات ويصلحون المنشآت.

وقد كشفت الدراسات في فَيْنان عن أدلة تساعد على دراسة النظام الغذائي للعمال والبيئة الاجتماعية المحيطة بمواقع الإنتاج. كما كشفت مواقع أخرى عن آثار لمجتمعات رعوية ارتبطت بالمنطقة خلال العصر الحديدي.

وهذا يفتح لنا نافذة مختلفة على أدوم فخلف المعدن الذي خرج من الأفران كانت هناك أيدٍ بشرية عمال ورعاة ومزارعون وحرفيون وتجار وبدون هؤلاء جميعًا لم يكن النحاس ليصبح ثروة للمملكة.

# أدوم ومملكة يهوذا

كانت العلاقة بين أدوم والممالك الواقعة إلى الشمال الغربي معقدة فقد حدثت صراعات وتحالفات وتنافس على الأراضي والطرق وكانت المنطقة الواقعة بين البحر الميت وخليج العقبة مهمة جدًا، لأنها تربط الداخل بالشمال والجنوب ومن هنا ظهرت أهمية السيطرة على طرق التجارة والممرات وكانت العلاقة مع مملكة يهوذا تتغير حسب المرحلة السياسية.

ففي بعض الفترات وقعت مواجهات عسكرية، وفي فترات أخرى خضعت أدوم لنفوذ أقوى منها لكن الأدوميين استطاعوا الحفاظ على هويتهم ومراكزهم لفترات طويلة.

# وصول آشور

كما حدث مع عمون وموآب، وصلت الإمبراطورية الآشورية إلى عالم أدوم وفي القرن الثامن قبل الميلاد أصبحت الممالك الصغيرة في بلاد الشام أمام قوة إمبراطورية هائلة وظهرت أسماء حكام أدوميين في السجلات الآشورية، ضمن شبكة الممالك التي قدمت الجزية ملوك أدوم ومن بينهم قوس جبر وأيا رامو، في سياق الجزية والعلاقات مع الإمبراطورية.

وكان هذا النظام يسمح لآشور بالحصول على الموارد دون الحاجة دائمًا إلى احتلال كل مدينة بصورة مباشرة فإذا دفع الملك المحلي الجزية واعترف بالسلطة الآشورية، يمكنه أن يبقى على عرشه لكن إذا تمرد، فقد تأتي الحملة العسكرية وهكذا أصبحت السياسة في أدوم مرتبطة بما يحدث في الإمبراطورية الآشورية.

# من آشور إلى بابل

ثم جاءت نهاية آشور ومثلما حدث في عمون وموآب، تغير النظام السياسي في المنطقة ظهرت الدولة البابلية الحديثة، وأصبح نفوذها يمتد إلى بلاد الشام لكن أدوم لم تختفِ فورًا.

استمرت المجتمعات الأدومية، واستمر النشاط الاقتصادي، وتغيرت مراكز القوة ومع مرور الوقت، بدأت هوية أدوم السياسية القديمة تتغير.

وانتقلت بعض الجماعات الأدومية إلى مناطق أخرى، خصوصًا نحو الجنوب من فلسطين، بينما ظهرت كيانات جديدة في المنطقة.

وهنا تبدأ مرحلة انتقالية مهمة فـ أدوم المملكة شيء، والأدوميون كشعب شيء آخر كما رأينا مع الحوريين، لا يعني سقوط الدولة اختفاء سكانها في اللحظة نفسها.

# انتقال الأدوميين إلى الجنوب

مع التغيرات التي شهدتها بلاد الشام، تشير الأدلة إلى انتقال جماعات أدومية إلى مناطق جنوب يهوذا، حيث عُرفت المنطقة لاحقًا باسم إدوميا.

وهنا تبدأ مرحلة جديدة من تاريخ الشعب الأدومي.

فلم تختفِ هويتهم بمجرد تراجع مملكتهم القديمة، وإنما انتقلت جماعات منهم إلى مناطق أخرى، واستمرت أسماؤهم وتقاليدهم ضمن واقع سياسي جديد وفي العصر الهلنستي، أصبحت إدوميا منطقة معروفة في جنوب بلاد الشام، وارتبط سكانها بالأحداث السياسية التي شهدتها المنطقة.

ثم دخلت المنطقة في المجال الروماني وتداخلت الهويات والسكان واللغات والثقافات بصورة متزايدة ومع مرور القرون تلاشت الهوية الأدومية

القديمة تدريجيًا لكنها لم تختفِ دون أثر فقد بقي اسم أدوم في المصادر، وبقيت مواقعها الأثرية، وبقيت النقوش واللقى التي تساعدنا على معرفة هذا الشعب.

## ما الذي تركه الأدوميون؟

ترك الأدوميون أكثر من اسم في الكتب القديمة تركوا مدنًا ومراكز تعدين وطرقًا تجارية ونقوشًا وأختامًا وأواني.

وبقايا منشآت تخبرنا عن مجتمع استطاع أن يعيش في بيئة صعبة ويحول موقعه الجغرافي إلى مصدر للقوة.

وربما كان أعظم درس في قصة أدوم هو أن الثروة لا تكون دائمًا في الأرض الزراعية الخصبة أحيانًا تكون في معدن مخبأ تحت الصخور.

وأحيانًا تكون في طريق تمر منه القوافل.

وأحيانًا تكون في موقع جغرافي يجعل المملكة حلقة وصل بين عوالم مختلفة لكن هذه الثروات نفسها تجعل المملكة مطمعًا للقوى الأكبر وهكذا، مثل عمون وموآب، دخلت أدوم في دوامة الصراعات الإمبراطورية التي غيرت وجه بلاد الشام.

ومع نهاية العصر الحديدي بدأت الممالك التي درسناها عمون وموآب وأدوم تفقد استقلالها السياسي تدريجيًا.

لكنها لم تكن آخر الشعوب التي تركت أثرًا في هذه الأرض.

# الأدوميون والأنباط

ثم ظهر شعب جديد في المنطقة سيغير وجه جنوب بلاد الشام الأنباط.

كان الأنباط قوة تجارية صاعدة، وسيطروا تدريجيًا على شبكة واسعة من طرق القوافل التي ربطت جنوب الجزيرة العربية ببلاد الشام.

ومع توسع نفوذهم، دخلت الأراضي التي كان الأدوميون قد عاشوا فيها ضمن المجال النبطي وهنا يجب أن نفرق بين الشعبين.

الأدوميون ليسوا الأنباط، والبتراء ليست مدينة أدومية أصلًا.

فالبتراء أصبحت عاصمة الأنباط وأحد أعظم مراكزهم التجارية والمعمارية.

لكن المنطقة الجنوبية التي عرفها الأدوميون كانت جزءًا من العالم الذي ظهر فيه النفوذ النبطي لاحقًا وهذا الانتقال يوضح لنا كيف تتغير الخريطة التاريخية دون أن تتغير الأرض نفسها.

# البتراء مدينة نحتها الحجر

في قلب الجبال الوعرة الواقعة جنوب بلاد الشام، تظهر البتراء كواحدة من أكثر مدن المنطقة إثارة للدهشة؛ مدينة لا تستقبلك بشوارع واسعة وسهول مفتوحة، بل تقودك إليها ممرات ضيقة بين الصخور، حتى تخرج فجأة أمام واجهات منحوتة في الجبل وكأنها ظهرت من داخل الصخر نفسه وقد منحتها طبيعتها الجبلية موقعًا دفاعيًا مميزًا، بينما جعلها موقعها على طرق القوافل محطة مهمة للتجارة بين جنوب الجزيرة العربية وبلاد الشام ومناطق أخرى من الشرق الأدنى وتشتهر البتراء اليوم بواجهاتها الصخرية ومعابدها ومدافنها وقنواتها المائية، إلا أن أعظم ما تكشفه المدينة ليس جمال الحجر وحده، بل قدرة سكانها على التكيف مع بيئة

**قاسية قليلة المياه فقد أقيمت أنظمة لجمع مياه الأمطار وتخزينها ونقلها عبر القنوات والأحواض والصهاريج، فتحولت المياه النادرة إلى مورد يمكن التحكم فيه واستثماره وهكذا لم تكن البتراء مدينة منحوتة في الجبل فحسب، بل مدينة هندسية استطاعت أن تجعل من الصخر والماء والطرق التجارية أساسًا لازدهارها.**

**لكن أعظم ما يثير الإعجاب في البتراء ربما لم يكن الذهب ولا البخور ولا القوافل، بل الماء.**

**كان سكان المدينة يعيشون في بيئة شحيحة المياه، وفي الوقت نفسه كانت السيول المفاجئة تمثل خطرًا حقيقيًا لذلك طوّر الأنباط نظامًا معقدًا لجمع المياه وتخزينها وتوزيعها، مستخدمين القنوات والسدود والصهاريج والخزانات والأنابيب ولم يكن الهدف مجرد تأمين مياه الشرب؛ بل كان النظام قادرًا على تنظيم المياه على مدار العام، وتخزينها في فترات الوفرة، والسيطرة على مياه السيول، وتوزيعها داخل المدينة وتكشف الدراسات أن الأنباط استغلوا مصادر المياه المتاحة بأقصى قدر ممكن، ووازنوا بين التخزين والتدفق المستمر عبر شبكة واسعة من المنشآت المائية بل إن المياه أصبحت جزءًا من مظاهر الثراء والسلطة نفسها؛ فقد كشفت التنقيبات عن حدائق وبرك ومنشآت مائية في قلب المدينة، مما يشير إلى أن الماء لم يكن مجرد ضرورة للبقاء، بل أصبح أيضًا وسيلة لإظهار المكانة والترف وهنا تظهر عبقرية البتراء الحقيقية مدينة وسط الجبال لم تنتصر على ندرة الماء، بل أعادت تنظيم البيئة نفسها بحيث أصبحت المياه جزءًا من قوتها.**

# ملوك الأنباط

لم تكن المملكة النبطية مجرد اتحاد قبائل أو تجمع تجاري، بل امتلكت نظامًا ملكيًا وظهر فيها عدد من الملوك الذين نعرف أسماءهم من النقوش والعملات والمصادر القديمة.

وتختلف قوائم الملوك الأوائل وتواريخهم في بعض التفاصيل، لأن الأدلة المبكرة محدودة ومن أوائل الملوك المعروفين الحارث الأول، ثم تعاقب ملوك مثل الحارث الثاني وعبادة الأول.

## عبادة الأول

كان عبادة الأول من أبرز ملوك الأنباط في القرن الأول قبل الميلاد، وارتبط اسمه بتقاليد دينية مهمة، حتى ظهر اسم عبادة الإله في بعض النقوش، الأمر الذي أدى إلى نقاش بين الباحثين حول طبيعة تأليه بعض الملوك الأنباط وكيف تشكلت عبادتهم بعد وفاتهم. وتوجد في البتراء نقوش تذكر عبادة إلى جانب الإله ذو الشرى، أحد أهم آلهة الأنباط.

## الحارث الثالث الملك الذي وصل إلى دمشق

ثم ظهر الحارث الثالث، أحد أكثر ملوك الأنباط قوة. وفي عهده اتسعت المملكة بصورة كبيرة، وتمكن الأنباط من السيطرة على دمشق لفترة، وأصبحوا قوة سياسية لا يمكن تجاهلها في شمال بلاد الشام. وتظهر أهمية عهده في أن المملكة لم تعد مجرد قوة تجارية جنوبية، بل أصبحت طرفًا في الصراعات السياسية الكبرى في المنطقة.

وكان لقب الحارث الثالث «فيلهيلين»، أي «محب اليونانيين»، وهو لقب يعكس انفتاح الأسرة الحاكمة على الثقافة الهلنستية والعالم اليوناني، دون أن يعني ذلك تخلي الأنباط عن هويتهم الخاصة.

## الحارث الرابع العصر الذهبي للبتراء

لكن أشهر ملوك الأنباط وأبرزهم كان الحارث الرابع، الذي حكم من نحو ٩ ق.م. حتى ٤٠م. وفي عهده وصلت البتراء إلى واحدة من أعظم مراحل ازدهارها ارتبط اسمه بالعملات والنقوش والمباني الملكية، وكانت البتراء في هذه الفترة مدينة مزدهرة تجمع بين التجارة والعمران والفنون والهندسة. وتشير الدراسات إلى أن كثيرًا من الواجهات والمنشآت الصخرية التي أصبحت رمزًا للبتراء تعود إلى هذه المرحلة أو إلى الفترة القريبة منها وكان الحارث الرابع يحمل لقبًا لافتًا هو «محب شعبه»، وهو لقب يختلف في روحه عن الألقاب التي ركزت على العلاقة بالإمبراطوريات الكبرى، ويعكس صورة الملك الذي يريد أن يظهر بوصفه راعيًا لشعبه.

## الملكة شَقيلة

ولم تكن المرأة غائبة عن الحياة الملكية النبطية تظهر شَقيلة، زوجة الحارث الرابع، على العملات النبطية إلى جانب الملك وتكشف هذه العملات عن مكانة استثنائية للملكة، إذ لم تكن مجرد زوجة ملك مجهولة الاسم، بل ظهرت صورتها واسمها في وثائق نقدية رسمية كما تظهر ألقاب ملكية مرتبطة بها في النقوش والعملات ومن المثير أن العملات النبطية أصبحت واحدة من أهم مصادر معرفة الأسرة الملكية، لأن صور الملوك والملكات وأسماءهم وألقابهم بقيت محفوظة على قطع معدنية انتشرت داخل المملكة وخارجها.

## مالك الثاني وربل الثاني

بعد وفاة الحارث الرابع تولى الحكم مالك الثاني، الذي حكم نحو ثلاثين عامًا، ثم خلفه ابنه ربل الثاني.

وتظهر على العملات النبطية أيضًا أسماء الملكات المرتبطات بهذه المرحلة، ومنها شقيلة الثانية وجميلة (Gamilath)، مما يؤكد استمرار حضور النساء الملكيات في الصورة الرسمية للأسرة الحاكمة. وتوجد في مجموعات المتاحف عملات تحمل صور ربل الثاني وشقيلة الثانية أو ربل الثاني وجميلة وكان ربل الثاني آخر ملوك الأنباط، وحكم من نحو ٧٠ إلى ١٠٦م. وفي عهده بقيت المملكة قوة إقليمية مهمة، لكن الظروف السياسية المحيطة بها تغيرت بصورة متزايدة مع اتساع النفوذ الروماني.

## آلهة الأنباط

كان للأنباط عالم ديني غني، ومن أبرز آلهتهم ذو الشرى، الذي كان من أهم الآلهة في البتراء ومناطق أخرى من المملكة. كما عبدوا آلهة أخرى مثل اللات والعُزّى، وظهرت في تقاليدهم الدينية صور وأسماء متعددة للآلهة بحسب المكان والفترة.

وكانت العبادة النبطية مرتبطة بالجبال والمرتفعات والمعابد والمذابح، كما ظهرت أنماط من النصب الحجرية والرموز التي لا تشبه دائمًا تماثيل الآلهة البشرية المألوفة في العالم اليوناني والروماني.

وهذا الجانب مهم جدًا لفهم الأنباط فقد عاشوا في عالم يتقاطع فيه العربي والمحلي والآرامي واليوناني والروماني، ولذلك ظهرت في ثقافتهم الدينية والفنية عناصر متعددة، دون أن يعني ذلك أنهم فقدوا شخصيتهم الخاصة.

# البتراء مدينة الفن الصخري

إذا كانت التجارة هي التي صنعت ثروة البتراء، فإن الحجر هو الذي حفظ ذاكرتها حيث تنتشر في المدينة واجهات ضخمة منحوتة في الجبال، ومقابر ملكية، ومعابد، ومبانٍ عامة، ومسرح، وساحات، ومنشآت مرتبطة بالحياة التجارية والدينية.

ومن أشهر هذه الواجهات الخزنة، التي أصبحت رمزًا للبتراء في العصر الحديث. لكن اسم «الخزنة» نفسه حديث نسبيًا، ووظيفتها الأصلية ليست محسومة ببساطة على أنها خزينة بالمعنى الذي يوحي به الاسم الشعبي؛ وهناك أيضًا الدير، وهو من أضخم المنشآت المنحوتة في المنطقة، إضافة إلى المقابر الملكية ومجموعة واسعة من المعابد والمباني التي تكشف عن ثراء المدينة وتنوع وظائفها.

واللافت أن الفن النبطي لم يكن نسخة بسيطة من الفن اليوناني أو الروماني؛ فقد استوعب الأنباط تأثيرات خارجية وأعادوا تشكيلها ضمن أسلوبهم الخاص. ولذلك تبدو بعض الواجهات وكأنها تجمع بين تقاليد شرقية وعناصر هلنستية ورومانية في تكوين واحد.

## مدينة التجارة

لم تكن البتراء جميلة فقط، بل كانت مدينة تجارية ضخمة كانت القوافل تمر عبرها محملة بالبخور والتوابل والعطور وغيرها من السلع القادمة من جنوب الجزيرة العربية ومناطق الشرق، ثم تتجه منها نحو بلاد الشام وموانئ المتوسط ولهذا لم يكن الثراء النبطي قائمًا على الزراعة وحدها؛ بل استفاد من موقع المملكة ومن قدرتها على التحكم في طرق التجارة وفرض الرسوم وتأمين حركة القوافل.

وكان هذا النشاط التجاري يحتاج إلى إدارة قوية، وهو ما تؤكده النقوش التي تذكر موظفين ومسؤولين وأصحاب مناصب، إضافة إلى مشاريع المياه والطرق والتحصينات.

## الأنباط بين الشرق والغرب

عاش الأنباط في عالم لم يكن معزولًا عن اليونان وروما. فقد تداخلت ثقافتهم مع العالم الهلنستي، وظهرت تأثيرات يونانية ورومانية في العمارة والفنون، لكنهم حافظوا في الوقت نفسه على لغتهم الكتابية ونظامهم الخاص وكانت اللغة النبطية إحدى صور الآرامية، وكتب الأنباط بها نقوشهم الرسمية والدينية. كما تركوا عددًا كبيرًا من النقوش التي تساعد الباحثين على فهم المجتمع والسلطة والدين والاقتصاد.

وتظهر العملات أيضًا هذا التداخل؛ فالملك النبطي قد يظهر بملامح وصياغة متأثرة بالفن الهلنستي، بينما يحمل العملة اسمًا ولغةً وعناصر تعبر عن الهوية النبطية.

وهكذا كانت البتراء مدينة تقع بين عوالم متعددة عربية في جذورها، آرامية في كتابتها، شرقية في تقاليدها، ومتأثرة بالعالم الهلنستي والروماني في فنونها وسياساتها.

## نهاية المملكة

ظل الأنباط مستقلين فترة طويلة رغم تزايد النفوذ الروماني حولهم، لكن في بداية القرن الثاني الميلادي تغير الوضع نهائيًا.

توفي ربل الثاني سنة ١٠٦م، وبعد ذلك ضم الإمبراطور الروماني تراجان المملكة النبطية إلى الإمبراطورية الرومانية، وأنشأ منها ولاية العربية

البترائية (Arabia Petraea). وهكذا انتهى الحكم الملكي النبطي المستقل، لكن البتراء لم تختفِ فورًا؛ فقد استمرت مدينة مهمة تحت الحكم الروماني، وتواصل استخدامها وتطورها في مراحل لاحقة.

ولم تكن نهاية المملكة نهاية تاريخ البتراء. فالمدينة استمرت في العصور الرومانية والبيزنطية، وتغيرت وظائف مبانيها وأحياؤها، واستمرت الحياة فيها قرونًا بعد سقوط الحكم النبطي.

## من النحاس إلى البتراء

وهكذا تبدو لنا المنطقة الجنوبية من بلاد الشام وكأنها مرت بسلسلة من التحولات الكبرى. ففي أدوم، لعب النحاس والتعدين دورًا مهمًا في اقتصاد المنطقة، بينما حمل الأنباط هذه المنطقة إلى عالم آخر جعل من التجارة والمياه والهندسة والعمران أساسًا لمدينة استثنائية.

لم تكن قصة البتراء مجرد قصة مدينة جميلة منحوتة في الصخر؛ بل قصة مجتمع استطاع أن يجعل من موقعه الجبلي مركزًا تجاريًا وسياسيًا، وأن يحول ندرة المياه إلى مشروع هندسي، وأن يبني مملكة امتدت من جنوب بلاد الشام إلى مناطق واسعة من شمال الجزيرة وبلاد الشام.

ومن بين كل ما بقي من الأدوميين والأنباط، ربما تكون البتراء أكثر ما يختصر روح هذه المنطقة صخرٌ أخفى مدينة، وماءٌ صنع حياة، وطريقٌ صنع ثروة، ومملكةٌ تركت وراءها مدينة ما زالت تتحدث بعد ألفي عام.

# شعوب متعددة من رحم أرض واحدة

**لم تكن بلاد الشام القديمة أرضًا لشعب واحد، ولا مملكة واحدة، ولا حضارة ظهرت ثم بقيت إلى الأبد.**

**كانت أرضًا تتحرك فيها الشعوب، وتتغير فيها الحدود، وتسقط فيها الممالك لتقوم على أنقاضها ممالك أخرى.**

**من الحوريين الذين تركوا أثرًا عميقًا في شمال بلاد الرافدين وبلاد الشام، إلى ميتاني التي أصبحت في زمن من الأزمنة قوة كبرى وقفت بين مصر والحيثيين وآشور.**

**ومن هناك انتقلنا جنوبًا، إلى عمون وموآب وأدوم؛ ممالك لم تكن بحجم الإمبراطوريات الكبرى، لكنها امتلكت مدنها ولغاتها وآلهتها واقتصادها وجيوشها، وتركت آثارًا ما زالت تسمح لنا بسماع أصواتها بعد آلاف السنين في عمون بقي اسم ربّة عمون حيًا في مدينة عمّان.**

**وفي موآب بقي صوت الملك ميشع محفورًا على الحجر، يروي انتصاراته ويذكر إلهه كموش.**

**وفي أدوم كشفت المناجم والمدن والطرق تعرفنا على مجتمع عرف كيف يستفيد من النحاس والتجارة وموقعه بين الشمال والجنوب.**

**و في البتراء المدينة الصامدة منذ آلاف السنين عاش الأنباط و ازدهرت مدنهم و أبدعوا في الفن و العمارة و غيرها**

**أما الحوريون، فقد علمونا أن سقوط المملكة لا يعني اختفاء الشعب فقد تسقط الدولة، لكن اللغة قد تبقى لبعض الوقت، والدين قد ينتقل، والعادات**

**قد تختلط بثقافات أخرى، وتستمر عناصر من الحضارة في المجتمعات التي تأتي بعدها وهذا هو سر التاريخ القديم إنه لا يسير في خطوط مستقيمة.**

**حضارة لا تختفي دائمًا حين تنتهي دولتها، وشعب لا يختفي بالضرورة حين تسقط عاصمته أحيانًا يتحول وأحيانًا يندمج.**

**وأحيانًا يترك كلمة في لغة شعب آخر، أو اسم مدينة، أو نقشًا صغيرًا، أو أسطورة تنتقل من جيل إلى جيل.**

**ولهذا فإن قراءة آثار هذه الممالك لا تعني البحث عن الملوك وحدهم فخلف كل ملك كان هناك مجتمع كامل.**

**فلاحون زرعوا الأرض.**

**رعاة اعتنوا بقطعانهم.**

**حرفيون صنعوا الأدوات.**

**عمال نزلوا إلى المناجم.**

**تجار عبروا الطرق.**

**كتبة حفظوا الكلمات.**

**وكهنة أقاموا الطقوس.**

**وأناس عاديون عاشوا حياتهم، ثم رحلوا، وبقيت أشياء قليلة من عالمهم مدفونة تحت التراب لقد حاولنا في هذا الجزء أن نقترب من هؤلاء جميعًا، وأن ننظر إلى الممالك لا باعتبارها أسماء في قائمة تاريخية، بل باعتبارها عوالم عاش فيها بشر حقيقيون وقد تبدلت الخريطة مرات لا تحصى.**

**جاءت آشور ثم بابل ثم الفرس ثم اليونان ثم روما لكن الأرض بقيت.**

**والمدن تغيرت أسماؤها، واللغات تبدلت، والآلهة تراجعت، والقصور تهدمت، بينما ظلت الحجارة تحفظ شيئًا من الذين مروا فوقها.**

**وربما لهذا السبب تحديدًا ما زلنا نعود إلى هذه الأرض بعد آلاف السنين لأنها لا تمنحنا تاريخًا مكتملًا بل تمنحنا شظايا ونحن نجمع الشظايا لنحاول أن نفهم الصورة.**

**قد لا نعرف كل أسماء الذين عاشوا هنا وقد لا نعرف كل القصص التي حدثت خلف أسوار المدن.**

**لكننا نعرف شيئًا واحدًا أن هذه الشعوب لم تكن هامشًا في تاريخ المنطقة لقد كانت جزءًا من تاريخها وأن الأرض التي حملت خطواتهم لم تنسهم تمامًا ففي حجرٍ بقيت كلمة وفي مدينة بقي اسم وفي نقش بقي صوت ملك وفي أعماق المناجم بقي أثر يدٍ عملت منذ آلاف السنين.**

**ومن رحم الأرض، خرجت الحكايات.**

**وإلى رحم الأرض، عادت آثار أصحابها.**

**فالأرض لا تتكلم بصوت عالٍ لكنها لا تصمت أبدًا.**

**فكلما أزاح عالم آثار طبقة من التراب، وكلما قُرئ نقش قديم، وكلما فُهمت كلمة كانت مجهولة، عاد جزء من ذلك العالم إلى الحياة.**

**كل شعب ترك قطعة.**

**وكل مدينة أضافت سطرًا.**

**وكل نقش حفظ كلمة.**

**وكل حجر بقي شاهدًا.**

**ما الذي بقي؟**

**ربما لا نستطيع اليوم أن نرى جيشًا عمونيًا يسير عبر الطريق.**

**ولا نستطيع أن نسمع صوت ملك موآبي وهو يتحدث إلى جنوده.**

**ولا نستطيع أن نرى أفران النحاس في أدوم وهي تشتعل.**

**ولا نعرف كيف كان الناس في ميتاني يغنون في احتفالاتهم.**

**لكننا نستطيع أن نقرأ أسماءهم.**

**ونستطيع أن نمسك بالقطع التي صنعوها.**

**ونستطيع أن نقف أمام المدن التي بقيت آثارها.**

**ونستطيع أن نقرأ النقوش التي حفروها على الحجر والطين.**

**عندما ننظر اليوم إلى بلاد الشام، نرى مدنًا حديثة وطرقًا مزدحمة ومباني وأسواقًا وحياة لا تشبه ما كان هنا قبل آلاف السنين.**

**لكن تحت هذه الحياة الحديثة توجد طبقات كثيرة من الماضي.**

**تحت المدينة مدينة.**

**وتحت الطريق طريق قديم.**

**وتحت التراب بيت.**

**وتحت الحجارة نقش.**

**وفي كل طبقة حكاية.**

**ربما لهذا السبب حملت هذه السلسلة اسم «من رحم الأرض».**

**فالأرض ليست مجرد مكان نعيش عليه إنها ذاكرة.**

**تدفن فيها الحضارات موتاها، وتخفي فيها مدنها، وتحفظ فيها أدواتها وكتاباتها وأسرارها ثم يأتي يوم، بعد مئات أو آلاف السنين، فتفتح الأرض ذراعيها وتعيد إلينا شيئًا مما أخفته.**

**قطعة طين.**

**حجرًا من معبد.**

**تمثالًا.**

**عملة.**

**أو نقشًا صغيرًا يحمل اسم إنسان عاش ذات يوم وظن أن العالم سيذكره.**

**وهكذا لا تنتهي حكاية هذه الممالك بسقوطها بل تبدأ مرحلة أخرى مرحلة اكتشافها من جديد.**

**فلن تموت الحضارات تمامًا ستظل نائمة في رحم الأرض حتى يأتي من يوقظ حكاياتها. وهكذا نغلق صفحات هذا الجزء من «من رحم الأرض»، لكننا لا نغلق باب التاريخ.**

**فخلف هذه الممالك، كانت شعوب أخرى تنتظر دورها في الحكاية وحضارات أخرى ستخرج من التراب، حاملةً أسرارها، وذكرياتها، وآثارها.**

**لأن الأرض، مهما طال صمتها، تعرف كيف تتكلم.**

# كلمة أخيرة

**هذا الكتاب لا يدّعي أنه أغلق كل أبواب تاريخ هذه الشعوب، فالكثير من أسرارها ما زال تحت الأرض، وربما تكشف الحفريات القادمة نصوصًا وآثارًا تغير بعض ما نعرفه اليوم.**

**فالتاريخ القديم ليس صفحة أُغلقت إنه حوار مستمر**

**بين الأثر والعالِم،**

**وبين الحجر والإنسان.**

**وكل اكتشاف جديد قد يعيد إلينا صوتًا ظننا أنه صمت إلى الأبد.**

**وهكذا يبقى رحم الأرض مفتوحًا يحفظ الماضي، وينتظر من يكتشفه.**

# المراجع

## أولًا: المراجع العربية

خزعل الماجدي، حضارات الشرق الأدنى القديم.

فراس السواح، مغامرة العقل الأولى.

أحمد أمين سليم، العراق والشام في العصور القديمة.

محمد بيومي مهران، تاريخ الشرق الأدنى القديم.

مجموعة من الدراسات والبحوث العربية المتعلقة بحضارات بلاد الشام القديمة واللغات السامية القديمة.

## ثانيًا: المراجع الأجنبية

Trevor Bryce, The Kingdom of the Hittites.

Trevor Bryce, The Routledge Handbook of the Peoples and Places of Ancient Western Asia.

Daniel C. Snell, A Companion to the Ancient Near East.

Amélie Kuhrt, The Ancient Near East c. 3000–330 BC.

Mario Liverani, The Ancient Near East: History, Society and Economy.

K. Lawson Younger Jr., A Political History of the Arameans.

**Nadav Na'aman, Ancient Israel and Its Neighbors.**

**Israel Finkelstein & Neil Asher Silberman, The Bible Unearthed.**

## ثالثًا: مصادر ودراسات متخصصة

**دراسات الآثار المتعلقة بمواقع أوركيش وتل الفخيرية وشمال بلاد الرافدين.**

**دراسات أرشيف تل العمارنة والمراسلات الدبلوماسية بين مصر وميتاني.**

**الدراسات المتعلقة بنص كِكولي وتاريخ تربية الخيول والعربات في الشرق الأدنى القديم.**

**الدراسات الأثرية الخاصة بمملكة عمون وموقع ربّة عمون.**

**الدراسات المتعلقة بمملكة موآب ومسلة ميشع.**

**الدراسات الأثرية الخاصة بمملكة أدوم ومواقع بُصيرة وفَيْنان.**

**Corpus of West Semitic Inscriptions والدراسات المتخصصة في النقوش العمونية والمؤابية والأدومية.**

**The Ancient Near East Today، أبحاث ودراسات حول الشرق الأدنى القديم.**

**Encyclopaedia Iranica، المقالات المتخصصة بتاريخ آشور وميتاني والشعوب القديمة في المنطقة.**

**The Metropolitan Museum of Art – Heilbrunn Timeline of Art History، الدراسات المتعلقة بفنون وآثار الشرق الأدنى القديم.**

**متحف اللوفر، المواد والدراسات المتعلقة بمسلة ميشع وآثار بلاد الشام القديمة.**

# الكاتبة أماني سليمان

**سوريا محافظة الحسكة مدينة القامشلي**

**مواليد ٢/٨/١٩٨٨**

**درست في كلية العلوم قسم الكيمياء**

**أول مؤلفاتها كتاب خواطر بعنوان همسات النسمات**

**الثاني كتاب خواطر بعنوان صدى الأفكار**

**الثالث رواية بعنوان يضمدها الأمل**

**الرابع كتاب خواطر بعنوان عندما تتحدث الروح**

**الخامس رواية بعنوان أرواح تتأرجح على كفوف السحر**

**السادس كتاب خواطر بعنوان يا حزني السعيد**

**السابع رواية بعنوان قبل أن يراها**

**الثامن قصة بعنوان وكانت الصدمة**

**التاسع رواية بعنوان ترتيب القدر**

**العاشر مسرحية بعنوان النبوءة**

**الحادي عشر كتاب خواطر بعنوان كِلانا يبحث عني**

**الثاني عشر رواية بعنوان حين تكلم الموت**

**الثالث عشر رواية بعنوان نالت مرادها**

**الرابع عشر رواية بعنوان سلام فوق رماد الماضي**

**الخامس عشر خواطر بعنوان انا امرأة لا يعبرها الزمن**

**السادس عشر خواطر بعنوان على مائدة الوجدان**

**السابع عشر سكتشات مسرحية بعنوان من رحم المعاناة**

**الثامن عشر مونولوجات مسرحية بعنوان القوة تنبع من الداخل**

**التاسع عشر مونولوجات مسرحية بعنوان أنا والحياة**

**العشرون مونولوجات مسرحية بعنوان علمتني الحياة**

**الحادي والعشرون رواية بعنوان لم نخرج سالمين**

**الثاني والعشرون مسرحية بعنوان مقهى النصائح المجّانية**

**الثالث والعشرون مسرحية غنائية بعنوان ساحة المطر**

**الرابع والعشرون مسرحية بعنوان مكتب تصليح القدر**

**الخامس و العشرون مسرحية بعنوان مقهى الرسائل غير المرسلة**

**السادس و العشرون مسرحية بعنوان شركة ضائعة بين القرارات**

**السابع و العشرون مسرحية غنائية بعنوان قناديل المنى**

**الثامن و العشرون خمس سكتشات مسرحية بعنوان مجرات مضيئة**

**التاسع و العشرون مسرحية بعنوان صندوق الاصوات القديمة**

**الثلاثون كتاب خواطر بعنوان مسافة نجاة**

**الحادي و الثلاثون كتاب خواطر بعنوان ألوان قلبي**

**الثاني و الثلاثون رواية بعنوان على هامش القرار**

**الثالث و الثلاثون مسرحية بعنوان يوميات عريس مفلس**

**الرابع و الثلاثون مسرحية بعنوان عريس بالغلط**

**الخامس و الثلاثون مسرحية مزاد العرسان**

**السادس و الثلاثون مسرحية يوم بدون تمثيل**

**السابع و الثلاثون مسرحية غلط بغلط**

**الثامن و الثلاثون قصة بعنوان أجساد من كلمات**

**التاسع والثلاثون مسرحية حلم ع السريع**

**الاربعون مسرحية غنائية للأطفال المدينة التي تضحك**

**الواحد و الاربعون مسرحية غنائية بعنوان مدينة تزهر حين نحب**

**الثاني و الاربعون مسرحية بعنوان كل الطرق تؤدي إلي**

**الثالث و الاربعون مسرحية بعنوان آخر بث**

**الرابع و الاربعون مسرحية بعنوان محكمة الضمير**

**الخامس و الاربعون مسرحية بعنوان العريس الضايع**

**السادس والاربعون مونولوجات مسرحية بعنوان بدون تجميل**

**السابع و الاربعون مونولوجات مسرحية بعنوان بقايا انسان**

**الثامن و الاربعون مسرحية بعنوان مدينة الكذب**

**التاسع و الاربعون مسرحية بعنوان معجب سبع نجوم**

**الخمسون مسرحية بعنوان الجلسة الأخيرة**

**الواحد و الخمسون كتاب خواطر بعنوان قيد من حرير**

**الثاني والخمسون كتاب بعنوان من المجد إلى الطين(١)الحضارة السومرية**

**الثالث و الخمسون كتاب بعنوان من الطين إلى المجد(٢)الحضارة الأكدية**

**الرابع و الخمسون كتاب بعنوان من الطين إلى المجد(٣)الحضارة البابلية**

**الخامس والخمسون كتاب بعنوان من الطين إلى المجد(٤)الحضارة الآشورية**

**السادس والخمسون كتاب بعنوان وصفات الحب**

**السابع و الخمسون كتاب بعنوان من رحم الأرض(١)حضارتي إيبلا وماري**

**الثامن و الخمسون كتاب بعنوان من رحم الأرض(٢)اوغاريت والآراميون**

**التاسع والخمسون كتاب عنوان من رحم الأرض(٣)الكنعانيون والفينيقيون**

**الستون كتاب بعنوان من رحم الأرض(٤) الحوريون، العمونيون، المؤابيون، الأدوميون، الأنباط**